مجلة الإسلام والتصوف

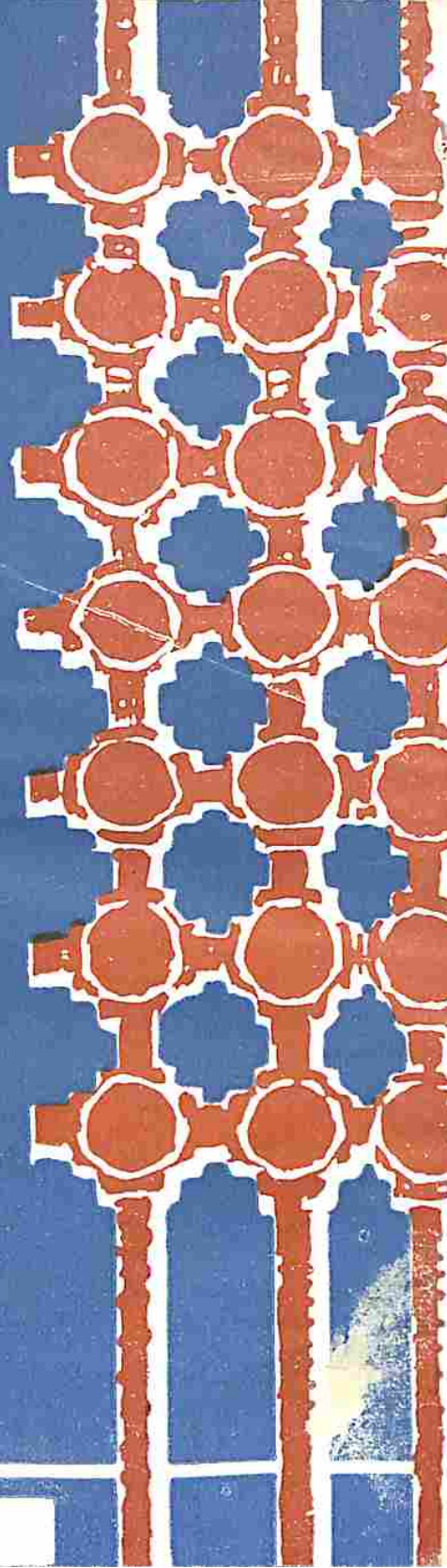

السنة الرابعة — العدد الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة الإسلام والتصوف

مجلة أسبوعية تصدر شهرية مؤقتا

تصدر عن مشيخة الطرق الصوفية

"ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون"

صاحب المجلة
محمد محمود علوان
شيخ مشايخ الطرق الصوفية

رئيس التحرير
محمد صبيح

سكرتير التحرير
طه عبد الباقي سرور

الاشتراك
٦٠
في الجمهورية العربية المتحدة
٥
ثمن العدد
العنوان
مشيخة الطرق الصوفية
بميدان سيدنا الحسين
القاهرة
تليفون ٥١٣٩٣

العدد الأول « السنة الرابعة » ١٦ من ذى الحجة عام ١٣٨٠ هـ — ١ يونيه ١٩٦١ م

خواطر فى يوم الحج الأكبر

لسماحة الأستاذ السيد محمد محمود علوان

تعيش الأمة الإسلامية فى أضواء عيدها الأكبر ، لحظات خالدات ، من أسمى وأهدى اللحظات الروحية التى عرفها تاريخ الرسالات الربانية .

تعيش فى الأفق الأعلى للمعانى الإلهية ، أفق عرفات ، وماتلهم مناسك عرفات ، وما يترقرق حول يوم الحج الأكبر من نفحات وفيوضات وهبات .

فى البقاع المقدسة ، حول أم القرى ، وفى رحاب مدينة النور المحمدى ، يحتشد ممثلو الأمة الإسلامية من كل فج عميق متجردين من دنياهم ، متحررين من أسر شهواتهم ، مرتفعين فوق عواطفهم ، مقبلين على ربهم ، يحرقهم الشوق ، ويثور بهم

الوجد ، ويزكيهم الحب ، ويطهرهم القرب ، يرددون فى نشوتهم الكبرى ، أنشودة التوحيد الخالدة .

« لبيك اللهم لبيك ، لاشريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لاشريك لك » .

لبيك طارت قلوبنا إليك ، وحنت أرواحنا إلى بيتك ، وحلقت أحلامنا حول بابك ، وتطلعت آمالنا إلى قربك وأنسك وقدسك .

إننا عبيدك وأنصارك وأحبابك ، بل نحن ربنا ضيوفك ، فهل ترد ضيفاً — وأنت سبحانك أكرم الأكرمين — إلا وقد زودته نوراً ، ومنحته هدى ، وحبوته عطفاً ، وأفضت عليه غفرانا وباركته ، وأنعم بمن تبارك ، إنه قد يُسر للحسنى ، وظفر بالدنيا والأخرى ، مع الذين أنعم الله عليهم وباركهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

إن مؤتمر الحجيج الأكبر ليأتى فى كل عام ليذكر الإنسانية كافة بأن الرسالات السماوية لا تزال قائمة وستبقى قائمة ، حفيظة على الحق ، أمينة على الهدى ، حتى يأتى أمر الله .

إن مؤتمر الحج لهو صيحة الإيمان الكبرى ، الصيحة المدوية فى مسمع الدنيا ، بأن عبودية الإنسان لمولاه ، لا تزال شعار الحياة ، وأن كل النزوات الطائشة ، والمبادىء المجنونة ، لن تستطيع أبداً أن تمحوا من قلب الإنسان الشوق إلى ربه ، والتطلع إلى بيته ، والتعلق برسالته .

إن مؤتمر الحج الأكبر لهو الرد العملى الإيجابى ، على الغبار الوثنى الذى يتصاعد من كل مكان يحاول أن يطمس وجه الحق ، وأن يخنق صوت الضمير ، وأن يطفأ نور الله ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ، وأن تبقى كلماته قائمة خالدة .

إن يوم الحج هو يوم الإيمان ، يوم العهد والميثاق ، اليوم الذى يفيض بالغفران كما يقول الصوفية على الإنسانية كافة .

إنه الدعوة الإسلامية المتجددة فى كل عام ، إنه المؤتمر العالمى للإسلام وللأخاء

وللتعاون الإنسانى ، المؤتمر الذى لا يعرف الألوان ، ولا الأجناس ، ولا الطبقات ، مؤتمر الحرية والتحرر ، مؤتمر الكفاح والجهاد ، مؤتمر الإنسانية التى تسير على الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين .

إن هذا المؤتمر ورقة رابحة فى يد العالم الإسلامى ، لو أحسن استغلالها والدعوة لها ، لكانت فوق ما تفيض غفران وما تمثل من سمو وإيمان ، نواة صالحة نامية لا كبر المعارض التجارية ، والأندية الثقافيه ، والاتصالات السياسية ، والانطلاقات الروحية ، ولاستطاع هذا المؤتمر أن يكون عنواناً مشرقاً للرسالة الإسلامية التى جاءت لتخرج الناس من الظلمات إلى النور ، ومن الجور إلى العدل ، ومن العبودية إلى الحرية ، وقد حققت رسالتها بالأمس ، وستحقق رسالتها فى الغد بإذن الله ، الذى كتب لأغلبن أنا ورسلى .

وعد الله ومن أصـــدق من الله قيلا ؟

التصوف وأسرار الكون

بقلم الأستاذ
طه عبد الباقي سرور

هذا الوجود ، بل هذا الكون العجيب ، بسمواته وأرضه وإنسه وجنه ، وجماده ونباته ، وحروفه وكلماته ، عند الصوفية ، صورة جميلة متماسكة تنتظمها روح عامة نابضة بالحركة ، مسبحة بالقدرة ، فليس فى الكون إلا حياة مشرقة ، منسقة مدبرة ، محددة مسخرة ، تجرى إلى ما قدر لها ، وخلقت من اجله .

والكون كله بما حوى ، عابد مسبح ، كل من فيه قد ألهم صلاته وتسبيحه ، كون مغنم منعم ، بموسيقى ربانية او كما يقول محي الدين : « بالإيقاع الإلهى والقول الربانى » الكون كله سماع لمن القى السمع ، ورفع عنه الغطاء : « تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن ، وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم » وإذا كانت أمواج الموسيقى السابحات فى الجو من محطاتنا الأرضية ، تمر بالأذن ولا تسمعها إلا بالجهاز المعد لها ، فكذلك تلك الموسيقى فى حاجة إلى محطات وأجهزة فى قلوبنا ، أجهزة لا تتفتح إلا بالذكر والتقوى ، وكم الذكر والتقوى من أسرار وأسرار !!

كل شيء يقع تحت أبصارنا ، له حياته وله عباداته وله عجائبه وفنونه ، تحركه يد الخالق المدبرة الحاكمة ، التى أحسنت وأبدعت خلق كل شيء ، وأودعته ما شاءت وأرادت ، وكشفت بما أودعت لمن شاءت ولمن أحبت .

ليست الحياة فى هذا الكون للملك والإنسان والجن والحيوان والنبات فحسب ، بل الحياة لكل شيء ، تلك الجبال التى تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب ، حتى تلك الأحجار منها ما يتفجر منه الماء ، وإن منها لما يهبط من خشية الله ، ومنها ما يسبح بحمده ويذكر بآياته . يقول ابن عربى « إن آلة النجار : ربما تعلم اكثر مما يعلم الصانع بها فإنها حية عالمة بخالقها ، مسبحة بحمد ربها عالمة بما خلقت له ، فكل شى فى الطبيعة قد أوحى إليه بما يراد منه » .

وهذه الحروف التى نكتبها لها أسرارها ودنياها ، فهى أمة قائمة بذاتها ، لها صلاتها بالسماء والنجوم ، ولها مساس بالإنسان ، وعلاقة برسالات الرسل والأنبياء .

ثم الكلمات أيضا ، أليس عيسى كلمة الله ؟ وأليست الكلمة الطيبة كالشجرة المباركة التى أصلها ثابت وفرعها فى السماء ؟ فلا عجب إذا كانت أمة مسخرة ، طائعة وعابدة .

إنه لعالم جميل أبدعته القوة الإلهية ، تعالت وجلت قدرة الله . عالم جميل عجيب ذلك الذى نعيش فيه ، لو نظرنا إليه بالقلب والروح ، ولو مزقنا عن أرواحنا اقنعة الشهوات وحجب الظلمات .

إن مكاشفات القلب ، لتدلف بنا إلى عوالم مسحورة جميلة محببه ، مؤمنة عاقلة تهتف بالإيمان وتنادى بقدرة الرحمن ، وإلى علوم وفنون من فيض القدرة الإلهية يهبها الله لمن يشاء ويعلمها من لدنه من اجتبى واصطفى ، انها ملكة التصوف ، وإنها لدنيا الصوفية .

يقول محيى الدين : « فاعلم أن فى الخبز والماء وجميع المطاعم والمشارب والملابس والمواكب والمجالس والزهر والثمر أرواحا لطيفة غريبة ، فيها استجابة مودعة لما يراد منها ، هى سر حياتها وفيها تجلى من حب الله لعبده وعلو منزلته ، حتى سخر له ما فيه السعادة والعلم والبقاء .

وتلك الأرواح امانة عند تلك الأشياء ، محبوسة فى تلك الصور حتى تؤديها إلى هذه الروح الإنسانى ، التى قدرت له ، ورجال الله ، الذين كشف الله عن أبصارهم ، تناديهم احجار الأرض ونباتها ، بمنافعها ومضارها » .

ولأسماء الله الحسنى أيضا سرها واثرها فى حياة الإنسان والكون ، أو كما يقول محيى الدين : هى المؤثرة فى هذا العالم وهى المفاتيح الأولى التى لا يعلمها إلا هو ، وان لكل حقيقة اسما يخصها من هذه الأسماء .

فأمهات الأسماء ، هى : الحى العالم ، المريد ، القادر ، القائل ، الجواد المقسط ، وهذه الأسماء من الأسمين المدبر والمفصل ، فالحى يثبت وجودك ، والعالم يثبت احكامك فى وجودك ، وقبل وجودك يثبت تقديرك ، والمريد يثبت اختصاصك ، والقادر يثبت عدمك ، والقائل يثبت كلامك والجواد يثبت إيجادك ، والمقسط يثبت مرتبتك ، فهذه حقائق لابد من وجودها ، فلابد من اسمائها التى هى أربابها .

وهكذا لكل اسم من اسماء الله الحسنى اثر فى الكون يقوم به ، فأسماء الله تعالى : هى سر هذا الكون ، وهى التى تقوم بها الأشياء ! ولكل اسم سره فى العبادة التى لو لمسها المريد اظفر بالخير وتربت يداه بالبركات والنعم والهبات .

عيد سعيد

تتقدم أسرة تحرير المجلة بخالص التهنئة إلى العالمين العربى والإسلامى بمناسبة العيد الكبير . كما تتقدم بأطيب أمانيها إلى سماحة شيخ المشايخ السيد محمد علوان ، والأساتذة أبو الوفا التفتازانى ومحمد محمود بحبح وطه عبد الباقى سرور وهم الذين يمثلون صوفية العالم الإسلامى فى يوم عرفات المقدس .

ونسأل الله تبارك وتعالى فى هذه المناسبة السعيدة أن يأخذ بقلوب عباده إليه وأن يجنب الإنسانية شر ما يدبر الاستعمار والاستغلال لها . وأن يمن على العرب والعالم الإسلامى بتأييده وتوفيقه وأن يسدد خطوات رئيسنا جمال عبد الناصر إلى النصر الكامل إنه سبحانه ولى التوفيق ؟

كتب التراجم والطبقات

للدكتور محمد خلف الله أحمد

عميد كلية الآداب بجامعة الإسكندرية

للتراث العربى فى ميدان التأليف مزيتان هامتان : الأولى أن تاريخ حياته يتصل اتصالا لا انقطاع فيه مدة ثلاثة عشر قرنا من الزمان ، وهو باذن الله مستمر فى هذا الاتصال ما بقيت اللغة العربية وما بقى الإسلام ، وهذه صفة لاتتحقق فى كثير من الحضارات الراقية المعاصرة . والمزية الثانية ضخامة مكتبة هذا التراث وغناها وتنوع انتاجها وأصالته فى ضروب المعرفة المختلفة . والحقيقة أننا فيما نحاول من التعريف بنماذج هذا التراث الفكرى وآثاره فى خدمة الحضاره ، وفيما نقصد إليه من تنبيه الشباب العربى والإسلامى إلى أمجاده الخالدة ، نجد أنفسنا أمام ثروة يضيق عنها الحصر ويصعب فيها الاختيار . فآثرنا — نظراً لتنوعها وخصبها ووفرتها — أن نعرضها جملة لا تفصيلا ، وأن نرسم منها للقارىء العربى مجرد اطار عام يستطيع إذا شاء أن يكمل صورته من قراءاته ودراساته .

واليوم نجد أنفسنا فيما يقرب من هذا الموقف حين نتحدث عن المكتبة العربية فى ميدان التراجم والطبقات : فهى مكتبة حافلة تبدأ سلسلتها منذ أواخر القرن الثانى الهجرى أو أوائل القرن الثالث ، وتستمر فى مشرق الإسلام ومغربه ، وفى مراحل تاريخه المتعاقبة ، حتى أيامنا هذه . وهى مكتبة منوعة يتخصص بعضها فى تصنيف طائفة معينة كالشعراء والأدباء ،أو اللغويين والنحاة ،أو المتصوفة والفقهاء أوغيرهم ويأخذ بعضها شكل دوائر المعارف التى تترجم لكل هؤلاء الأصناف أو لكثير منهم فى عصر واحد أو عصور متعاقبة . وهذه المكتبة الخصبة تؤلف جزءا هاما من الذخيرة التى يعتمد عليها دارسو الثقافة العربية والإسلامية اليوم ، ويتسابق فى نشرها وتحقيقها جهابذة من شرقيين ومستشرقين . ومما يرتفع له رأس كل مصرى عزة وارتياحا أن مصر الحديثة تضطلع فى أحياء هذا التراث بدور كبير ، وشقيقاتها

العربية قد أخذن بمقاليد هذه الحركة بعد أن كانت إلى عهد قريب حكرا فى أيدى الباحثين الغربيين .

على أن مما يحتاج إلى التصحيح فى تفكيرنا الحاضر موقف بعض مثقفينا من هذا التراث العربى والاسلامى ، فإن من هؤلاء من لم يتصلوا به اتصالا حقيقيا ، ومن لم تهيء لهم ظروف تخصصهم العلمى الحديث أن يدرسوا تاريخ العلم الإنسانى وأن يضعوا الجهود العربية فى مكانها من سلسلة هذا التاريخ .

وبعد فإن من أقدم كتب الطبقات والتراجم فى ميدان الأدب العربى كتابين ألفا فى القرن الثالث الهجرى ، وعنى بهما الدارسون المصريون عناية مشكورة : أحدهما كتاب « طبقات الشعراء » لابن سلام ، وهو كتاب وضع أساس البحث التاريخى والنقدى للشعر العربى وصنف شعراء الجاهلية وصدر الإسلام فى طبقات ، تحتوى كل منها أربعة يتقاربون فى المكانة الفنية ، أو تجمعهم بيئة واحدة من البيئات العربية ، أو يشتهرون بفن واحد من فنون الشعر . وقد جمع هذا الكتاب طائفة من المعلومات الأدبية الهامة وحفظ لنا صورة من بدء تطور الذوق النقدى فى المجتمعات العربية الإسلامية ، ومن المقاييس التى كان يستعملها الناقدون إذ ذاك فى الحكم على الأدب ، وفى المفاضلة بين شاعر وآخر .

والكتاب الثانى كتاب « الشعر والشعراء » لابن قتيبة وهو يبدأ بمقدمة نقدية طريفة ، يناقش فيها قضيتى التكلف والطبع ، والقديم والجديد ، ويحاول أن يضع لجودة الشعر معايير تقاس بها ، ويترجم لأكثر من مائتين من شعراء الجاهلية وصدر الاسلام .

وإذ تتطور النهضة التأليفية ، ويتسع العمران الإسلامى ، وتطلع كل بيئة من بيئاته أعلاما من الشعراء والكتاب ، يتجه بعض مؤلفى التراجم إلى العناية بأدباء عصرهم فى الأقاليم المختلفة مفردين لكل إقليم أو مجموعة متجاورة من الأقاليم قسما من أقسام كتبهم . ويعتبر أبو منصور الثعالبى المتوفى سنة ٤٢٩ ، واضع أساس هذا الاتجاه فى كتابه « يتيمة الدهر فى محاسن أشعار أهل العصر » ، المعاصرين له فى أصقاع الإسلام المختلفة ، إذ كانت فى نظره أجود مما سبقها من أشعار الماضين فى الجاهلية والإسلام فعنده أن اشعار الاسلاميين جاءت أرق من اشعار الجاهليين ، وان اشعار المحدثين كانت الطف من اشعار المتقدمين ، وان اشعار العصريين كانت اجمع لنوادر

من أشعار سائر المذكورين ، لانتهائها إلى ابعد غايات الحسن وبلوغها اقصى نهايات الجودة والظرف . وإذا كان المؤلفون من قبله قد سبقوا إلى ترتيب المتقدمين من الشعراء والمتأخرين ، وذكر طبقاتهم ودرجاتهم ، وتدوين كلماتهم ، والانتخاب من قصائدهم ومقطوعاتهم ، قد بقيت محاسن اهل العصر — التى معها لذة الجدة وحلاوة قرب العهد — غير محصورة فى كتاب يضم نشرها ويقيد شواردها ، وهذه هى المهمة التى اضطلع بها فى كتاب « اليتيمة » فصنف شعراء العربية فى عصره فى اربعة اقسام خصص الأول منها لشعراء آل حمدان والشام ومصر والمغرب ، وخصص الثانى لشعراء العراق والدولة الديلمية ، والثالث لأهل فارس وجرجان وطبرستان واصفهان والرابع لأهل خراسان وما جاورها من الأقاليم .

ثم تتابعت بعد ذلك الكتب على غرار كتاب « اليتيمة » فلم يكد يخلو قرن من قرون الاسلام من واحد منها يترجم لأعيان عصره فى الأدب . ومن هذه الكتب كتاب ضخم فى عشر مجلدات كبيرة ، ظل إلى عهد قريب مخطوطاً لا يفيد منه إلى القلة المنقبة من الباحثين ، حتى تنبهت مصر وشقيقاتها العربية فى السنوات الأخيرة إلى ضرورة العناية بتحقيقه ونشره ، ذلك هو كتاب « جريدة القصر وجريدة العصر » من تاليف العماد الأصفهانى الذى عاش فى القرن السادس الهجرى ، والذى اتصل بالأيوبيين وبالقاضى الفاضل امام الصناعة الأدبية فى أيامه . وقد نشرت مصر القسم الخاص بها فى مجلدين ، واخرجت دمشق المجلد الأول من القسم الخاص بسوريا ، ويقوم المجمع العلمى العراقى على نشر القسم الخاص بالعراق . ويبدو ان المؤلف كان معجباً بمصر وادبائها وعلمائها إعجاباً كبيراً . وان سوق الأدب فى المدن المصرية المختلفة فى ايامه كانت رائجة ، ان شخصية مصر الأدبية إذ ذاك كانت قد وصلت أعلى درجة ظاهرة من النمو والوضوح ، يقول المؤلف فى مستهل القسم الرابع من كتابه : « وانا مبتدىء بالديار المصرية لامتزاجى باهلها ، وابتهاجى بفضلها ومقامى فيها . . ومصر مربع الفضلاء ، ومرتع النبلاء ، ومطلع البدور وموضع الصدور ، واهلها اذكياء يبعد من اقوالهم واعمالهم العى والعياء . »

ومما له دلالته ومغزاه ان هذه التحية الجميلة التى يوجهها المؤلف الأصفهانى لمصر فى القرن السادس الهجرى ، تتردد فى كثير من امهات الكتب العربية التى الفها علماء من المشرق والمغرب الاسلاميين وقد مات بنا صورة هذه الأحاديث التى نقلناها عن مشيء علم العمران وفلسفة التاريخ عبد الرحمن بن خلدون . وها نحن اولاء فى نهضتنا

الحديثة نسمعها صادقة مخلصة من زعماء الأمم الشقيقة ومفكريها ، فتشتد بها عزائمنا وتزداد ارادتنا قوة على قوة ونحس أن علينا للعروبة والإسلام تبعات لابد لنا أن ننهض بها ، وأن لوطننا تراثا عريقا من حقه علينا أن نحييه ونحافظ عليه .

هذه الأمثلة التى ذكرناها تمثل ثلاثة أنواع من كتب الأدب : أحدها تصنيف الشعراء القدامى إلى طبقات ، والثانى التعريف بالشعراء والترجمة لهم دون تصنيف والثالث أفراد كل بيئة من البيئات الكبرى المعاصرة للمؤلف بقسم من أقسام الكتاب وتصنيف الآن إليها نوعين آخرين : أحدهما يمثل عناية المؤلف ببيئته ومن فيها من أعلام الأدباء ، والثانى يصور الاتجاه الموسوعى أو المعجمى فى التعريف بالسابقين من الأدباء والعلماء إلى عصر المؤلف . أما الأول فيتمثل فى كتاب « الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة » لابن بسام الأندلسى الذى عاش فى القرن السادس الهجرى ، والذى دفعه إلى تأليف كتابه هذا حرصه على أن ينشر مفاخر وطنه « الأندلس » ويسجل رقيه فى الأدب والعلم ، ويثبت ان فى مؤلفى الغرب الإسلامى من يستطيعون الجرى مع مؤلف اليتيمة فى مضمار واحد ، وقد كان لمصر أيضاً فضل السبق إلى العناية بتحقيق هذا الكتاب ونشره ، وهو الآن يسير رويداً إلى التمام . وأما الثانى فيتمثل فى كتاب « معجم الأدباء » لياقوت الحموى الذى عاش فى القرنين السادس والسابع ، وقد سبقنا الغرب إلى نشر هذا الكتاب ثم اعادت مصر نشره فى عشرين مجلداً فسدت به ركناً مهما فى المكتبة العربية ، ووضعت امام الباحثين المحدثين سجلا شاملا لأخبار المشهورين من اللغويين والنحويين والنسابين والفقهاء ، والأخباريين والكتاب وأصحاب الرسائل ومصنفى الأدب ، ممثلين لمراكز الثقافة العربية من البصرة وبغداد إلى الحجاز ومصر والمغرب وغيرها . وقد حوى هذا الكتاب ترجمة الف او يزيد من هؤلاء الأعلام واشار إلى مايربو على خمسة آلاف من الكتب والرسائل ، ومما يذكر فى معرض الانصاف للحضارة الإسلامية ولما اتسمت به من ساحة وحرية ، ولما هيأته من فرص التثقيف لكل من أظلته رايتها ان مؤلف هذه الموسوعة الضخمه كان فى نشأته فتى روميا اسر فى بلاده صغيراً ، وابتاعه ببغداد رجل تاجر وجعله فى الكتاب لينتفع به فى ضبط تجارته . فلما شب الفتى وترعرع ، وقرأ شيئاً من اللغة والأدب اعتقه الرجل ، فاستمر فى تثقيف نفسه ، واشتغل بتجارة الكتب وتنقل فى عواصم الاسلام من دمشق وحلب إلى الموصل ومرو وخوارزم ، وساعده هذا التجوال فى البلاد ، والمخالطة للناس ، على

جمع ما استطاع من الأخبار والمعارف بالرواية والمشافهة والاطلاع على مختلف المصنفات والكتب . وقد سجل فى بعض رسائله وصفاً مفصلا لطبيعة بعض البلاد التى جابها ولما تقلب عليه من الشئون والأحوال ، كمثل قوله عن نفسه وعن نهمه للمعرفة أثناء مقامه بمرو ومن أعمال خراسان ، هكذا كانت روح الحرص على العلم فى الحضارة الاسلامية ، أيام كانت ممتدة الأطراف واسعة الأرجاء ، وهكذا كانت فرص طالب المعرفة ، أينما سار وجد كتبا وعلماء ، ولقى أهلا بأهل وجيرانا بجيران .

فارس الاسلام وعبقرى الايمان

على بن أبى طالب

للدكتور مهدى علام

سنقضى الليلة فترة مع بطولة شاملة نادرة ، تمثلت فيها القوة بأجلى معانيها . والبطولة هى القوة فى نواحى العظمة التى اتفق الناس على تمجيدها . وقد تمثلت القوة فى سيدنا على بن أبى طالب — رضى الله عنه — فى جميع نواحى العظمة .

تمثلت فيه بسطة فى الجسم ، ووجاهة لاتقتحمها العين ، وشجاعة دفعته إلى مقدمة الصفوف فى كل معركة خاضها مع الرسول الكريم ، وبسالة أنزلت الرعب فى قلب منازله ، وانتهت بهزيمة مقاتلة .

وتمثلت فيه بسطة العلم والدراية ، حتى ضرب به المثل فى حل المشكلات فقيل : قضية ولا أبا حسن لها .

وتمثلت فيه القوة عمقا فى الايمان ، ونفاذا فى البصيرة ، ورسوخا فى التقوى ، فكان أحد الأربعة السابقين إلى الايمان الذى تقدم ليلة الهجرة لينام فى فراش النبى صلى الله عليه وسلم — معرضا نفسه للهلاك فى سبيل نصرة نبيه .

وتمثلت فيه القوة سعة فى الحلم وشمولا فى السماحة حتى مع خصومه وأعدائه ، فعف لسانه عن انتقاصهم ، كما عف عن إنزال الهلاك بهم حين أمكنته الفرصة فى إحدى المعارك أن يستأصلهم بالعطش فى الصحراء .

وتمثلت فيه القوة زهداً وورعا وعفة . فما امتدت يده لغير ما أحل له الله ، وما أباح لنفسه أولاحد من عماله أو أقاربه أن تمتد يده إلى شئ من أموال المسلمين .

هذه هى بعض نواحى البطولة فى على الامام ، فى على بطل المسلمين والاسلام ، فى على بن عم الرسول ، فى على زوج فاطمة الزهراء ، فى على خاتم الخلفاء الراشدين .

وما أظن أن فى الاسلام بطولة تفوق بطولة على — كرم الله وجهه — فلقد كان لعلى خصوم فى حياته ، ودامت خصومتهم له حقبة من الزمن ، ثم انقرض خصومه ودالت دولتهم ، ومع ذلك كان هؤلاء الخصوم أنفسهم من أشد الناس تقديرا لعظمته وبطولته

وسأذكر بعد قليل طرفا من حديث معاوية عنه ، ولكننى أريد أن أقرر هنا ، أولا أن جميع المسلمين فى جميع بقاع الأرض ، من سنيين وشيعة ، يقرون للامام على بالعظمة والبطولة ، ويعرفون له فضائله الجليلة التى تحلى بها ، وثانيا . أننا إذا حذفنا كل ما يريد أن يتشكك فيه المتشككون مما نسب إلى سيدنا على من الأعمال ، واستبعدنا كل ما يريد أن يستبعده المتحرجون مما نسب اليه من الأقوال ! فإن ما يتبقى — مما لا شك فى نسبته اليه — كاف فى بيان عظمته وبطولته .

فما من شك فى أنه نشأ فى بيت الرسول الكريم منذ كان عمره ست سنوات ، وأنه تخلق بأخلاق النبي قبل رسالته ، واهتدى بهديه منذ اليوم الأول لاعلانها ، فكان بذلك بريئا من أدناس الجاهلية ، فكرم الوجه عن السجود لغير الله تعالى .

وما من شك فى أنه حمل مع الرسول الكريم عبء الرسالة ، وأنه قدم نفسه مفديا له ليلة الهجرة فنام فى فراشه ليوهم قريشا أن الرسول ما زال فى فراشه حتى لا يتعقبوه .

وما من شك فى أنه صاحب الرسول الكريم فى جميع غزواته إلا واحدة منها وأنه أبلى فيها جميعا بلاء حسنا ، فكان أول من تقدم للمبارزة يوم بدر ، وكان مع الثابتين إلى جانب النبي فى محنة أحد وحنين ، كما كان فاتح خيبر وحامل لواء النصر فى معركتها . أما الغزوة الوحيدة التى لم يصاحب الرسول فيها فهى غزوة تبوك ، وقد تخلف عنها بأمر النبي — عليه الصلاة والسلام — إذ استخلفه فى أهل بيته . وما كاد يرضى بذلك لولا أن قال له الرسول الكريم . أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه لا نبوة بعدى !

وما من شك فى أن سيدنا عليا كان من كتاب الوحى ، فسجل بقلمه كتاب الله تعالى كما أنزله الله على نبيه . ومن كان أحق بتسجيل آيات الله عقب نزولها من الفتى المؤمن المثقف ، المؤمن منذ اليوم الأول لظهور الاسلام ، والمثقف على يد محمد رسول الاسلام ؟

وقد ظل هذا الرباط الوثيق بين على وابن عمه الرسول ، ثم ازداد وثاقة بزواجه من ابنته السيدة فاطمة الزهراء ، فروى أحاديث الرسول كما سجل كتاب الله ، وتتلمذ عليه بن عباس فلازمه وأخذ عنه الحديث وتخرج على يديه . سئل بن عباس مرة أين علمك من علم بن عمك ؟ فقال : كقطرة المطر إلى البحر المحيط .

فليس عجيبا بعد هذا أن يكون لعلى تلك المنزلة الرفيعة فى العلم والرواية والرأى فقد كان حجة المسلمين فى الفقه والتفسير والفتيا ، حتى أن عمر بن الخطاب ، على جلالة قدره وعلمه ، كان يرجع اليه فيما يشكل عليه من أمور الدين ، وقد قال : لايفتين أحد فى المسجد وعلى حاضر ، كما قال ، رضى الله عنه : لولا على لهلك عمر .

ولقد منحته هذه النشأة ، وهذه الثقافة ، صفات الاسلام الحقة التى يكفينى منها الليلة صفتان أتحدث عنهما : أحداهما سماحته ، والأخرى ورعه .

ولقد يكون المرء سمحا مع الأصدقاء ، ولقد يكون المرء سمحا وقت الرضا والسلامة ولكن السماحه الحقيقية لا تتبين إلا وقت الشدة ، ومع الخصوم ، وعند المقدرة عليهم وكذلك كانت سماحة على رضى الله عنه . كان مروان بن الحكم من أشد الناس عداوة لعلى ، ألب عليه الجماعة ، وحارب فى صفوف أعدائه ، فلما ظفر به على السمح عفا عنه . وكان عبد الله بن الزبير يبسط لسانه فى على ، يسبه على رءوس الأشهاد ، فلما وقع أسيرا فى يد على يوم الجمل ، لم يزد على أن قال له : اذهب فلا أرينك .

وحدث فى أثناء قتال معاوية له لاغتصاب الخلافة منه ، ان سيطر عسكر معاوية على الموقف ، وأحاطوا بالماء الذى يستقى منه على وجيشه ، وأرادوا قتلهم ظمأ ، فأرسل لهم على ان يسمحوا لهم بشرب الماء . فاجابوه : لا والله حتى تموت ظمأ . فلما أدرك انه لا مفر من الموت استبسل هو وجيشه وهجموا على جيش معاوية ، فأزالوهم عن مراكزهم وسيطروا على الماء ، فاصبح معاوية وجيشه عرضة للهلاك من العطش . وهنا قال أصحاب على له : امنعهم الماء ، ياامير المؤمنين كما منعوك ، ولا تسقهم منه قطرة واقتلهم بسيوف العطش ، وخذهم قبضا بالأيدى ، فلا حاجة لك إلى الحرب . فقال لا والله ، لاأكفئهم بمثل فعلهم ، افسحوا لهم عن بعض الشريعة ، ففى حد السيف ما يغنى عن ذلك .

هذه سماحة القادر على عدوه ، سماحة المحارب الشريف الذى يابى إلا ان ينتصر شريفا أو يهزم شريفا . كذلك كان على — كرم الله وجهه — وما اصدقه عن نفسه حين قال ، وقد سمع الناس يتحدثون عن دهاء معاوية : « والله مامعاوية بأدهى منى ولكنه يغدر ويفجر . ولولا كراهية الغدر لكنت من ادهى الناس » .

أما زهده وورعه وتقشفه فذلك ما شهد به خصومه قبل اشياعه . ولكن لماذا نحب المتقشفين ونعجب بالزهاد ؟ لماذا تستهوينا هذه الصفات ، حتى حين نعجز عن

الاتصاف بها ؟ ان الزهد والورع والتقشف ترجمة لقوه نفسية عظيمة ، ودليل على عزيمة سليمة وشجاعة أدبية عملية تبدأ بقهر النفس الامارة بالسوء . هذا هو السر فى أعجابنا بالزهاد والمتقشفين ، حتى حينما نعجز عن محاكاتهم . أما الأسراف والتبذير والتبذل فلم يعهد ان يشير فى نفوسنا الأعجاب والأجلال ، لأن النفوس إذا كانت سليمة من الدنس والالتواء فإن هذه الصفات تثير فيها السخط والاشمئزاز ، وإذا كانت النفوس ضعيفة مريضة فإن هذه الصفات لاتزيد على أن تحرك فيها نوعا من الدهشة غير محدوده ، وشعوراً بشىء من القلق هو أقرب ما يكون إلى الحسد ، وابعد ما يكون عن الأعجاب . هذا هو السر فى انها على اختلاف طبائعنا لا تملك انفسنا عن الأعجاب بالزهد والتورع . وقد كان زهد على وتورعه وتقشفه موضع اعجاب اصحابه وخصومه على السواء .

كانت الأموال تجبى اليه من جميع البلاد التى فى طاعته ، ولكنه ظل أخشن الناس مأكلا وملبسا . جاءه عقيل أخوه ، وقد لزمه دين يريد ان يسده عنه خليفة المسلمين القابض على بيت المال ، فأضافه على ، ودعا بعشائه ، فإذا خبز وملح وبقل . فقال عقيل متسائلا عن الوليمة التى كان ينتظرها : ماهو إلا ما أرى ؟ فأخبره على انه لاسبيل إلى تغيير هذا الطعام : فقال عقيل : فتقضى دينى ؟ قال : وكم دينك ؟ قال : اربعون ألفا . قال على : ما هى عندى ، ولكن اصبر حتى يخرج عطائى فإنه اربعة آلاف درهم فأدفعه إليك . فقال عقيل : بيوت المال بيدك ، وأنت تستوفى بعطائك ؟ فقال على تأمرنى ان ادفع إليك اموال المسلمين وقد ائتمنونى عليها !

ولقد شهد له معاوية ، خصمه الألد ، بهذه النزاهة النزيهه . فقد حج معاوية بعد قتل على فسأل عن إمرأة يقال لها الدرامية الحجونية كانت من أنصار على . فلما جاءت قال لها : اتدرين لم بعثت إليك ؟ قالت : لا يعلم الغيب إلا الله . قال : بعثت إليك لأسالك علام أحببت عليا وأبغضتنى ، ووالیته وعاديتنى ؟ قالت : أو تعفينى ؟ قال لا أعفيك . قالت : أما إذ أبيت ، فإنى أحببت عليا على عدله فى الرعية ، وقسمه بالسوية ، وابغضتك على قتال من هو اولى منكم بالأمر من الولاء ، وحبه المساكين واعظامه لأهل الدين ، وعاديتك على سفكك الدماء ! وجورك فى القضاء ، وحكمك بالهوى . قال : هل رأيت عليا ؟ قالت : أى والله . قال فكيف رايته ؟ قالت : رايته والله لم يفتنه الملك الذى فتنك ، ولم تشغله النعمة التى شغلتك . قال: فهل لك حاجة نقضيها ؟ قالت : أو تفعل إذ سالتك ؟ قال : نعم . قالت : تعطينى مائة ناقة حمراء

فيها خلها وراعيها. قال : تصنعين بها ماذا ؟ قالت ، اغذو بألبانها الصغار ، وأستحي بها الكبار ، واكتسب بها المكارم ، وأصلح بها بين العشائر . قال : فإن أعطيتك ذلك فهل احل عندك محل على بن ابى طالب ؟ فقالت : سبحان الله : او دونه ! فانشد يقول :

إذا لم اعد بالحلم منى عنكم ... فمن ذا الذى بعدى يؤمل للحلم ؟
خذيها هنيئا ، واذكرى فعل ماجد ... جزاك على حرب العداوة بالسلم

ثم قال : والله لو كان على حيا ما أعطاك منها شيئا . قالت : لا والله ولا وبرة واحدة من مال المسلمين .

وبعد فهذه صفات على ، وهذه صفات أنصاره اقتبسوها منه ، وهذه شهادة خصومه دانوا فيها لعظمته ، واعترفوا فيها ببطولته .

الكرامة الانسانية

للأستاذ الشيخ محمد أبو زهره

اعتبر الإسلام الإنسان أكرم من فى هذا الوجود ، واختاره للخلافة فى الأرض وسخر له كل ما فيها ، من جبال ووهاد وزرع وضرع ، بل له ما فى السموات وما فى الأرض ، وأعطاه من العلم قدراً يستطيع أن يسخر له كل ما يقرب منه لمصلحة نفسه ؛ وإن النصوص الدينية القطعية لتذكر أن الملائكة قالوا لرب العالمين عند ما اختار أن يكون آدم وبنوه الخلفاء فى هذه الأرض : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك » ، فقال الله لهم : « إنى أعلم مالا تعملون ، وعلم آدم الأسماء كلها ، ثم عرضهم على الملائكة ، فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ، قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم » ، وآدم بما علمه الله ، أعلمهم بهذه الأسماء جميعاً ، وليس ذلك العلم إلا الاستعداد الفطرى فى عقل كل إنسان لمعرفة حقائق الأشياء ، والأسرار الكونية التى بها يستطيع أن يسيطر على مافى هذه الوجود بما أعطاه الله تعالى من علم .

فأول تكريم للإنسان كان بإعطائه تلك القوة العقلية المسخرة للكون ، وهو الذى تقتله بعوضة من بعوض هذا الكون ، كما قال تعالى : « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر . ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » .

لاحظ الإسلام هذه الكرامة الإنسانية وأن الإنسان يستحقها بمقتضى كونه إنسانا لا للونه ولا لجنسه ، ولا لدينه ، ولا لكونه شريفا ، أو ذا حسب أو ذا جاه ، بل هى حق الإنسانية ذاتها .

ولذلك كانت التعاليم الإسلامية كلها تدور حول هذا القطب الذى يرمى إلى المحافظة على كرامة الإنسان ، فلم يفرق الإسلام بين حر وعبد فى هذه الكرامة ، وظهر ذلك فى أحكام جزئية كثيرة :

(ا) منها أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر بألا ينادى السيد عبده بيا عبدى ، وأن

يقول العبد لمالكه ياسيدى ، بل يقول المالك فتاى وفتاتى ، وأن يقول العبد مولاى ، أى صديق الذى أواليه وأنصره .

(ب) وأمر بأن يأكل العبد مما يأكله مالكه ، ويكسوه مما يكسو به نفسه وأولاده وقد قال عليه السلام : « إخوانكم خولكم ، ملككم الله إياهم ، ولو شاء لملكهم إياكم ، أطعموهم مما تطعمون ، واكسوهم مما تكسون » ولقد دخل عمر بن الخطاب على قوم من أهل مكة فوجدهم يأكلون ، ومواليهم (أى عبيدهم) لا ياكلون معهم ، فغضب رضى الله عنه ، وامتنع عن أن يأكل معهم ، وذكرهم بانه لا عزة لقوم لا يأكل مواليهم معهم .

(ج) ومنها أن النبى صلى الله عليه وسلم منع أن يضرب العبيد ، أو يظلموا ، وقال عليه السلام : « من لطم عبده فكفارته عتقه » ولقد قرر بعض الفقهاء أن من لطم عبده يعتق عليه .

(د) ومنها أن نصوص القرآن عامة تفيد أن نفس العبد كنفس الحر ، فالحر يقتل بالعبد إن قتله ، ولو كان القاتل سيده .

(ه) ومنها أنه جعل للعبد حق الشكوى من سيده ، ويخاصمه بين يدى القضاء إذا كلفه ما لا يطيق ، أو كلمه فى أى أمر من الأمور .

(و) ومنها أنه أوجب على المالك نفقة مملوكه ، ولو كان كلا لا يعمل شيئا .

وقد يقول قائل : أما كان الأولى أن يمنع الإسلام الرق ما دامت الكرامة الإنسانية حقا ثابتا لكل إنسان من غير نظر إلى لون أو جنس أو دين ، ونقول فى ذلك : إن القرآن الكريم لم يرد فيه نص يبيح الرق ، وإقرار الرق ثبت من كثرة أوامره بالعتق ، ولم يثبت ان النبى صلى الله عليه وسلم اقر إنشاء رق على حر ، لا فى حرب ، ولا فى سلم وإن الرق الذى انشأه الخلفاء فى الحروب من بعده كان لعدم وجود نهى ، كما انه لم توجد اجازة ، وكان ذلك من قبيل المعاملة بالمثل فى الحروب ، وهو تطبيق قوله تعالى : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله . واعلموا ان الله مع المتقين » وقد كان الأعداء الذين يحاربونهم يسترقون ، فكان من المعاملة بالمثل أن يسترقوا مثلهم ، فإذا لم يسترقوا لا يسوغ للمسلمين ان يسترقوا ، لأن ذلك يكون اعتداء والله يقول : ولا تعتدوا .

وإن الإسلام قد فتح باب العتق على مصراعيه ، فإذا حلف المسلم يمينا وحنث

وجب عتق رقبة ، وإذا حرم امرأته على نفسه وجب عتق رقبة حتى يقربها ، وإذا أفطر فى رمضان متعمداً وجب عتق رقبة ، وإذا قتل مؤمنا خطأ وجب عتق رقبة مؤمنة ، وإذا لطم عبده كانت الكفارة عتقه ، وإذا اتفق العبد مع سيده على أن يتركه يسعى حتى يكسب قيمته فيسلمه إليها ، وجب على السيد قبول ذلك ، وجعل الإسلام من مصاريف الصدقات مصرفا خاصا بشراء العبيد وإعتاقهم وهكذا لو نفذت هذه الأمور على وجهها مابقى رقيق الحروب فى الرق أكثر من سنة .

وإن الذين يعجبون كيف سكت الإسلام على الرق فلم يلغه ابتداء عليهم أن ينظروا إلى اسرى الحروب الأخيرة وكيف يعاملون ، وإلى الآن لم يفك اسر الكثيرين منهم مع أن الحروب انتهت منذ أكثر من اثنى عشر عاما .

ومن احترام الكرامة الإنسانية احترام النفس الإنسانية من غير نظر إلى دينها او جنسها فنفس غير المسلم على سواء فى المعاملة مع نفس المسلم ، يروى انه مرت جنازة على النبى صلى الله علية وسلم فوقف لها ، فقيل له إنها جنازة يهودى ، فقال النبى الكريم « اليست نفساً »

ومن ملاحظة الكرامة الإنسانية الا ينظر إلى الألوان ، ولا ان يحتقر الجهلاء ، فالمتخلفون فى الحضارة او المدنية يعلمون ، ويكون على المتحضرين ان يعلموا المتبدين ولا فضل لعربى على أعجمى بالتقوى .

ومن الكرامة الإنسانية التسوية المطلقة بين بنى آدم فى التكريم ، لأنهم جميعاً متساوون فى هذا القدر الذى يستحق التكريم ، وأين هذه المعاملة الكريمة من معاملة الأوربيين للملونين ، ومعاملة الأمريكان للهنود الحمر ، ومعاملتهم إلى الآن للزنوج .

ولقد كرم الله تعالى الإنسان حيا وميتاً . فنى الحياة أعطاه العزة والكرامة ، وبعد الوفاة أوجب تجهيزه وتكفينه ، ومنع المثلة ، فلا يشوه أى جزء من أجزائه بعد وفاته ، ولذا قال عليه السلام : « إياكم والمثلة » ولقد كان بعض أعداء النبى صلى الله عليه وسلم يمثل بقتلى المسلمين ولم يعاملهم عليه السلام بالمثل لأنه ما كان يقاتل انتقاما بل كان يقاتل دفعا للشر ، ومنعا للأذى وحفظا للحرمات ، فإذا قتل فى الميدان فقد ذهب أذاه ، وأصبح أى تشويه يلحق جثته إهانه للإنسانية فى ذاتها .

وإن الإسلام فى سبيل حماية الكرامة الإنسانية منع الإكراه فى العقائد ، وعمل على إزالة الفتنة فى الدين . وكان أكثر القتال لتحترم الإرادة الإنسانية ، وتحمى

العقائد الدينية من أن يضار امرؤ فى دينه ، ولذا قال سبحانه وتعالى : « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » وغير المسلمين الذين كانوا يعيشون مع المسلمين كانوا لا يضارون فى دينهم ولا فى أحوالهم الشخصية ، وأمر المسلمين بتركهم وما يدينون .

وفى سبيل احترام الكرامة الإنسانية أباح حرية الفكر وحرية القول إلا ما يكون خادشاً للناموس الاجتماعى العام من القول غير الحسن ، والعبارات الجارحة للحياء .

وحرية العمل حق للإنسان ، فيمنع الاعتداء عليه ما دام يعمل العمل المباح الذى يختاره ، وكل وما يريد إلا أن يمنع غيره من عمل يقوم به أو يحد من نشاط غيره بغير حق .

ولحماية الكرامة الإنسانية منع الولاة من أن يضربوا أحداً إلا أن يكون ذلك بحكم قضائى عادل ، وفى سبيل تنفيذ ذلك كان عمر بن الخطاب يضرب الولاة الذين يفعلون ذلك بمقدار ماضربوا رعاياهم ، بل إنه فى هذا السبيل منع الولاة من أن يوجهوا سبا لأى أحد من الرعية ، ووضع لذلك عقابا ، منه أن يضرب الشخص الذى سبه الوالى واليه : فيروى أن عمرو بن العاص رمى مسلما بالنفاق فشكى الرجل إلى عمر ، فأمر بأن يعاقب عمرا بأن يضرب المشتوم ، وأصر الرجل على تولى العقاب حتى تمكن منه ، ثم عفا .

المن والسلوى

للدكتور محمد وصفى

قال تعالى : وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون . . . وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير ادخلوا مصرا فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله . . . (٢ : ٥٧ و ٦١) .

المن عند المفسرين واليهود :

قيل : المن مادة حلوة لزجة كالعسل تسقط على الشجر من طلوع الشمس (لجنة التنسيق) ، وقيل : صمغة وشراب ينزل عليهم مثل العسل فيمزجونه بالماء ثم يشربونه ، وعسل ، وعن عامر قال : عسلكم هذا جزء من سبعين جزأ من المن ، وقيل : المن خبز الرقاق مثل الذرة ، وقيل : الترنجبين ، وقيل : كان يسقط على شجر الترنجبين ، وقيل : هو الذى يسقط على الشجر الذى تأكله الناس ، وقيل : المن الذى يسقط من السماء على الشجر فتأكله الناس ، وقيل : هو الذى يسقط على الثمام والعشر وهو حلو كالعسل . . . (تفسير الطبرى) .

وقالت اليهود : وفى الصباح كان سقيط الندى حوالى المحلة ، ولما ارتفع سقيط الندى إذا على وجه البرية شىء دقيق مثل قشور دقيق كالجليد على الأرض . . . وقال لهم موسى لا يبق أحد منه إلى الصباح لكنهم لم يسمعوا لموسى بل أبقى من أناس إلى الصباح فتولد فيه دود وأنتن . . . ودعا بيت إسرائيل إسمه منا ، وهو كبزر الكزبرة أبيض وطعمه كرقاق بعسل (خروج ١٦ : ١٤ و ١٥ و ٢٠ و ٣١) .

وقال آخرون : المن مصدر يعم جميع ما من الله به على عباده من غير تعب ولا زرع (الجامع لأحكام القرآن للقرطبى) .

ويقال إن العامة عندهم علم بمادة مايسمونها المن ويزعمون أنها هى التى جاء ذكرها فى كتاب الله .

ولقد بلغت شهرة المن يكونه مادة عسلية أن ذهب المترجمون للمصطلحات العلمية إلى إخلاق اسم المن (Aphis spp.) على أنواع من الحشرات الصغيرة تصيب المحاصيل المختلفة ، تتغذى على عصارة النباتات ، وتفرز مادة عسلية تلاحظ على النباتات المصابة ، وتعرف هذه الإصابة عند الزرع فى مصر باسم الندوة العسلية .

السلوى عند المفسرين واليهود :

وقيل : السلوى هو الطائر المعروف بالسمانى (لجنة التنسيق) ولشهرة هذا المعنى عند الناس ، وضع علماء الحيوان اسم السلوى مرادفاً للفظ السمانى Coturnix C. Coturnix وهو ذلك الطائر الذى يصاد على شواطىء مصر بالشباك حين يمر بها فى رحلتى الخريف والربيع ، والسمانى يفضل فى مواطنه ، الأماكن المنزرعة ، وأحب البقاع إليها حقول الحنطة المنبسطة ، ويتغذى السمانى على الحبوب والبذور والثمار وأطراف وريقات الشجر ، والحشرات على أنواعها .

وقيل : السلوى طائر يشبه السمانى ، وقيل : كان طيراً أكبر من السمانى ، وقيل : طائر كانت تحشرها عليهم ريح الجنوب ، وقيل : طير سمين مثل الحمام ، وقيل : السمانى (تفسير الطبرى) .

وقال ابن عطية السلوى طير بإجماع المفسرين ، وقال المؤرخ : (بن عمر) أحد علماء اللغة والتفسير : إنه العسل . واستدل ببيت الهذلى (خالد بن زهير) .

وقاسمها بالله جهداً لأنتم ألذ من السلوى إذا ما نشورها

وذكر أنه بلغة كنانة ، سمى به لأنه يسلى به ، ومنه عين السلوان ، وأنشد (لرؤبة) .

لو اشرب السلوان ما سليت ما بى غنى عنك وإن غنيت

وقال الجوهرى : والسلوى العسل ، وذكر بيت الهذلى (الجامع لأحكام القرآن للقرطبى) .

وقال اليهود : فكلم الرب موسى قائلا سمعت تذمر بنى إسرائيل كلمهم قائلا فى العشية تأكلون لحما ... فكان فى المساء أن السلوى صعدت وغطت المحلة (خروج ١٦ : ١٣)

أستبرلوبه الذى هو أدنى بالذى هو خير

١ — خير غذاء هو الغذاء الكامل

والطعام الذى هو خير الأطعمة هو الذى يحتوى على جميع عناصر التغذية الأساسية وهى المواد البروتينية والكربوهيدرانية والدهنية وكمية كافية من الأملاح المعدنية أو المركبات الغذائية غير العضوية ومختلف الفيتامينات والماء بشرط أن تكون هذه العناصر موجودة فى الطعام بنسب خاصة بحيث لا يطغى عنصر على آخر ، وبشرط أن تكون الكتلة الغذائية مناسبة لحجم الجهاز الهضمى .

٢ — خطورة الإكثار من اللحوم :

ومع التسليم بأن القيمة الغذائية للبروتين الحيوانى أعلى من القيمة الغذائية للبروتين النباتى ، بل دفع التسليم كذلك بأن الأغذية النباتية لاتولد بروتيناتها كل الأحماض الأمينية Amino acids اللازمة لبناء جسم الإنسان ، إلا أن الإكثار من أكل اللحوم يصيب البدن بأشد الأضرار .

إن أقصى ما يستطيع أن يمثله الجسم من البروتين فى مدة أربعة وعشرين ساعة لا يزيد عن أوقيتين ، ولذلك يجب أن لا يزيد مقدار ما يتناوله المرء من اللحم عن أربع أوقيات باعتبار أن لحم الطير يحتوى على مقدار أوقيتين من البروتين ، وإذا اعتمد المرء على اللحم وحده وأراد أن يضع فى معدته الكمية أو الكتلة اللازمة لمئها ، اضطر إلى تناول مقدار كبير من اللحم ، ويعد اللحم من أهم الأغذية التى تحتوى على مواد بروتينية مركزة ، والتى يتخلف بعد هضمها وتمثيلها مواد حمضية فى الجسم ، قد يعجز الجسم عن معادلتها ، فتزيد حموضته ، أو بتعبير أصح تنقص قلوية الجسم ، مما ينجم عنه اضطرابات مختلفة من أعراضها الصداع والشعور بالتعب عند القيام بأقل المجهودات العضلية كما أن زيادة الحموضة ، أو قلة القلوية ، قد تسبب ارتفاعا فى ضغط الدم وقد تحدث مرض النقرس والرماتزم وتصيب الكلى ببعض الأمراض ، وقد تسبب كذلك تصلباً فى الشرايين وغيرها من مختلف الأمراض .

٣ — هل المن معجزة غذائيه

والمعروف عن المواد السكرية ، التى يقال أن المن يحتوى على مقادير مركزة منها، تؤدى هى كذلك إلى نقص قلوية الجسم .

وبما أن المن الذى يقال إنه مادة سكرية مركزة ، لا يمكن أن يكون طعاما كاملا وحده أو مع اللحم لذلك لا نستطيع أن نعتبره أفضل من الغذاء النباتى الشامل لجميع عناصر التغذية هذا إلا إذا فرضنا أن المن يحتوى على جميع عناصر التغذية وعلى جميع الصفات الغذائية التى تتوافر فى الغذاء الصالح ، والتى لا توجد فى اللحوم، حتى يتكون منها ومن اللحم غذاء كاملا .

وإذا وجد ذلك الطعام الذى يكون مع اللحم غذاء كاملا ، فإنه يعد معجزة من المعجزات ، وهذا مما لم يدعه أحد من المفسرين .

٤ — الإنسان آكل لحوم وخضروات

ونستطيع أن نقول إن الإنسان من الناحية الغذائية يجمع بين الاستعدادات الفطرية الغذائية لآكلة الأعشاب Carnivora وآكلة اللحوم Herbevora ، فلا يستطيع أن يعيش على اللحوم وحدها ، ويحتاج إلى مقدار مركز من البروتينات الحيوانية عند تناوله الأطعمة النباتية ، لأن جهازه الهضمى يختلف عن مثيله فى آكلة العشب خاصة من حيث الحجم والطول النسبيين .

ويجب أن نشير هنا إلى أننا لو أسرفنا فى أكل الأغذية القلوية فإن أجسامنا لا يصيبها مثل تلك الأضرار التى يرزح تحتها من تأثير الاسراف فى أكل اللحوم المركزة والسكاكر المركزة .

« يتبع »

الدين والحياة

للكاتب العراقي الأستاذ إبراهيم الكواز

بالعنوان أعلاه كتب الأستاذ حامد محمود الزفزى وهو يحاول إتاحة التعليم للمرأة دون قيد . حالة أن ذلك مخالفاً لنص الشريعة الإسلامية وصراحتها . فأورد حديث : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » مزيداً فيه (ومسلمة) بينما الإمام السخاوى فى الصفحة ١٧٦ من كتابه المقاصد الحسنة أثبت الحديث بلا الزيادة المذكورة وقد ذكر أن البيهقى أخرج عن ابن المبارك أن معنى الحديث هو : طلب العلم فريضة أن يقع الرجل فى شىء من أمر دينه فيسأل عنه حتى يعلمه . والحديث يصرح أن الإمام عليا (ع) قال : أيها الناس لا تطيعوا للنساء أمراً ولا تدعوهن يدبرن أمر عسير فانهن أن تركن وما يردن أفسدت الملك الخ كما حكاه القرطبى فى التذكرة . وحيث أن العلم يقود إلى الرئاسة فإن تولت الرئاسة امرأة فكيف تعطى أو امرها ، وهن إذ أطعن يفسدن الملك ؟ ؟

ثم ماذا يعمل بقوله (ع) العلم يضيع بين أفخاذ النساء الحد وأين هو قوله عليه السلام « لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » فإذا ما أطلقنا حرية التعليم للمرأة إلى حريات مضافة أخرى ، نكون قد ساعدنا على هدم المجتمع بهدم البيت وهو اللبنة الأولى فيه . ثم إذا كانت أمتنا العربية سائرة إلى تقنين دستور إسلامى شامل فلا يجب أن نحابى الإنسان على حساب القانون الإلهى فالله أحق أن نخشاه لا الجنس اللطيف الذى أوجده الله لواجبات الأمومة والطفولة لا للقيادة والعمل والسياسة .

ومكلف الأيام ضد طباعها متطلب فى الماء جذوة نار

الدين والعلماء

للأستاذ السيد محمد عبد الشافعي

اقتضت حكمة الحق سبحانه وتعالى أن يجعل للإنسان ظاهراً وباطنا . ظاهر الإنسان الجسد ، وباطن الإنسان الروح ، وكما لا قوام للجسد إلا بالروح فكذلك لا ظهور للروح إلا بالجسد . ولكى يكون الإنسان على هذه الشاكلة التى أوجده الله عليها لابد له من الأمرين معا ، جسد من عالم الخلق ، وروح من عالم الأمر — فيقابل بجسده الحسى ما خلق من أجله فى عالم الحس . ويقابل بروحه ما خلق من أجله فى عالم الأمر حيث كان هو العلة الغائية من الإيجاد . كل شىء فى الوجود خلق من أجله وهو وحده خلق لله — قال تعالى : (خلق لكم ما فى الأرض جميعا) ، (وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه) وقال تعالى : (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) وإيجاد المرء على هذه الشاكلة ولهذه الغاية اقتضى أن يكون للمرء اتصال وثيق بالأكوان ، كما أنه اقتضى أن يكون له اتصال وثيق بربه ، ومن ثم كان لابد من شرح ينظم للمرء صلاته بما سوى الحق . كما ينظم صلاته الوثيقة بخالقه وحتى لا يعمل كل بهواه . فيفسد الكون ولم تتحقق الغاية من الإيجاد ، لهذا كله — تفضل الحق تبارك وتعالى فأسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة فشرع فى الأحكام المتعلقة بأعمال الجوارح الظاهرة ما تنتظم به صلة المرء بنفسه وصلته بأهله وصلته بعشيرته وقومه . بل وصلته بكل ما خلق من أجله وجعل كل هذه الأحكام وهذه الحدود تندرج تحت حيطة مقام الإسلام ، كما شرع لنا من الأحكام المتعلقة بأعمال الجوارح الباطنة ما يتزكى به المرء فى نفسه وتنتظم به صلته بربه وكلها تندرج تحت حيطة مقام الإيمان والإحسان .

ولما أن كان علم الشريعة فى الواقع رواية ودراية . اختص المحدثون بالرواية كما اختص الفقهاء والحكماء بالدراية . أما الفقهاء فاختصوا بأعمال الجوارح الظاهرة كالعبادات مثل الطهارة بنوعيها ، والصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، والجهاد ، وكالأحكام مثل الحدود . والبيوع . والفرائض . والطلاق . والعتاق . والقصاص . وما شابه ذلك وتعلق بأعمال الجوارح الظاهرة ولأن هذا النوع من العلم يتعلق بأحكام

الأعمال الظاهرة فى الإنسان أطلق عليه علم الظاهر كما أطلق على السادة الفقهاء الذين تخصصوا فيه علماء الظاهر .

أما الصوفية الحكماء فاختصوا بأعمال القلوب مثل التخلية والتحلية . التخلية عن كل خلق مذموم كالحسد والكبر والغل والغرور والرياء والنفاق .

والغل حيث نهانا الحق تبارك وتعالى عن ذلك كله بقوله : (اجتنبوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن) وهذه الأخلاق المذمومة هى فى الواقع الفواحش الباطنة فى القلب وهى علل القلوب المهلكة للإنسان والعياذ بالله . ثم هم اختصوا كذلك رضوان الله عليهم بالتزكية والتحلية بكل خلق محمود ، والتحقق بمقامات الإيمان والإحسان . كالإيمان والتوبة والصبر والرضا والشكر والتوكل والخوف والرجاء والإنابة والخشوع والمراقبة والمحاسبة وصفاء النية والإخلاص فى العمل والزهد والمحبة والأنس والشوق وغير ذلك مما جعل الله به أولياءه وذكره فى كتابه وجعله شرطا لازما فى فلاح العبد فى دنياه وآخرته كما قال تعالى : (قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) .

ولأن هذا النوع من العلم يتعلق بأعمال الجوارح الباطنة أطلق عليه علم الباطن وعلم الحقيقة حيث أن باطن الشىء حقيقته — كما أطلق على السادة الذين تخصصوا فيه علماء الحقيقة أو أهل التصوف — علما بأن الباطن هو باطن الظاهر الذى لا يكون إلا به كما أن الظاهر هو ظاهر الباطن الذى لا يكون إلا به — والشريعة من حيث هى واحدة لها الباطن ولها الظاهر فإن كان من الشريعة أن تراعى حدود الله فى الأعمال الظاهرة . فمن الشريعة أن تراعى حدود الله فى الأعمال الباطنة — والفقه فى دين الله يشمل الأمرين معا .

ومن ثم نرى أن طبيعة دين الله تستلزم أن ينقسم أهل الفقه فيه إلى قسمين — فقهاءهم أهل العلم الظاهر حيث تخصصوا فى أعمال الجوارح ، وصوفية أو حكماء وهم أهل العلم الباطن حيث تخصصوا فى أعمال القلوب فمن قال لا علم إلا علم الشريعة قاصداً علم الأحكام المتعلقة بالجوارح فقد أنكر من الدين ما لا يصلح الدين إلا به . ومن قال لا علم إلا علم الباطن قاصداً علم الأحكام المتعلقة بالقلوب فقد أنكر كذلك من الدين ما لا يصلح الدين إلا به إذ أن كلا منهما فى الواقع متمم للاخر وإن كانت العبرة إنما هى فى الواقع بأعمال القلوب كما قال صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح : « إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أعمالكم ولكن ينظر إلى ما فى قلوبكم » ويقول صلوات الله

عليه : « إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله . وإذا فسدت فسد الجسد كله ألاوهى القلب » وقوله صلوات الله عليه : « العلم علمان علم على اللسان وذلك حجة الله على عبده وعلم فى القلب وذلك العلم النافع » بل ويقول الله جل وعلا : (يوم لاينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم » ومتى كانت نجاة المرء يوم القيامة متوقفة على هذا النوع من العلم والعمل به كانت العناية به فى الحقيقة أوجب . فالمحدثون وفقهاء الأحكام والصوفية حكماء القلوب درجات عند ربهم . فإن كان للمحدثين وفقهاء الأحكام الفقه فى مقام الإسلام فللصوفية حكماء القلوب الفقه فى مقام الإيمان والإحسان وكلا وعد الله الحسنى ويرفع الله الذين أوتوا العلم درجات ، ومتى كان للدين مراتب ثلاثة : إسلام . وإيمان . وإحسان . كما بين ذلك صلى الله عليه وسلم . وقد تخصصت السادة الفقهاء فى العمل بأحكام الإسلام ، كما تخصص الصوفية فى مقام الايمان والإحسان ودين الله لاشك واحد فالاشتراك فى الأصل يقضى بالاشتراك فى الحكم والفقه والتصوف . هذه مكانتهما من دين الله فهما شقيقان فى الدلالة على أحكام الله وحقوقه فلهما حكم الأصل الواحد فى الكمال وفى النقص . وليس أحدهما فى الواقع بأولى من الآخر فى مدلوله فأظنه ليس هناك مجال لمنصف فى إقرار الفقه وجحود التصوف علما بأن التصوف أشرف لشرف متعلقه .

وهذه الطوائف الثلاثة وإن تفاوتت درجاتهم واختلفت مشاربهم ومناهجهم . هم حملة الرسالة من بعد الرسل . وهم أمناء الله على دينه . كما أنهم شهداء الله على خلقه. ليس ثمة خلاف بينهم ولم يفرقوا دينهم شيعا بينهم كما يفهم البعض وإنما كان اختلاف مشاربهم ومناهجهم أمر اقتضاه دين الله فى ذاته حيث أن ظاهر الدين إسلام وباطن الدين بالنسبة للفرد إيمان وإحسان ويريد الله أن يحفظ دينه فاختار قوم لمقام الاسلام واختار قوم لمقام الايمان والاحسان ، كما اختار رجال الحديث نضر الله وجوههم لابلاغ الأمة ميراث الرسول صلى الله عليه وسلم . فتخصيص كل طائفة منهم بخدمة وجه من وجوه الدين أمر اقتضته طبيعة الدين ومراتبه وليس هو فى الحقيقة خلاف مادام الهدف واحدا والغاية واحدة .

مجلة الاسلام والتصوف

اشتراكات العالم الجديد

أيها الصوفى المؤمن

إن مجلة الإسلام والتصوف هى مجلتك التى صدرت من أجلك . وقامت لرفع شأنك . تدافع عن فكرتك ، وتبين للناس طريقتك وتدعو إلى احترام رسالتك وتقدم آداب التصوف وعقائده وشيوخه ورجاله فى صور كريمة ، وكلمات رفيعة وصحف مطهرة مضيئة .

أيها الصوفى الكريم : لقد صدرت مجلة الإسلام والتصوف . فكانت خير عنوان لك . هاجمت من هاجمك . وشرحت صدو من أحبك . وأعلت ذكرك وطهرت دعوتك . بينت للعالمين أنك حامل نور القرآن وروح الإسلام . وأنك صفوة الخلق والخيرة من العباد . وأنك رافع لواء الروحانية الربانية التى اصطفاها الله رحمة للعالمين .

صدرت مجلة الإسلام والتصوف فى ثوبها القشيب ، وعلمها الغزير ، محررة بأقلام الصفوة المختارة من كبار الأساتذة وأئمة التصوف وأعلام الفكر . لم تحتجب يوما ولم تضعف لحظة . ولم ترج إلا الله ولم تعتمد إلا عليه وعليك . فسارع إلى مرضاة ربك ونصرة دعوته باشتراكك فيها ونشرها بين الناس ودعوتهم إليها وحضهم على المساهمة فيها . فإنها ميدان جهادك اليوم . ولسانك الناطق وقلبك الخافق وعنوانك المشرف . وصحيفتك البيضاء .

ولقد استقبلت مجلتك والحمد لله فى الجمهورية العربية وفى سائر أنحاء بلاد العروبة والإسلام استقبال الناس للنور والحياة والأمل وانهالت علينا رسائل التقدير والتأييد وأصبحت بفضل الله عنوانا من عناوين النهضة وصورة من صور الحياة العزيزة المنتصرة .

أيها الصوفى الكريم : لقد صدرت مجلتك ثلاثة أعوام . تعاونا فيهما معا على الخير والحق والهدى : والآن وقد انتهى العام الثالث بهذا العدد ، وابتداء من هذا العدد يبدأ العام الرابع . العام الجديد المبارك لمجلتك . فبادر بإرسال إشتراكك إلينا فورا لقد أدينا واجبنا . . . فبادر إلى أداء واجبك .

الحقيقة المحمدية والعلم الحديث

القرآن الحكيم : نور الحياة ، ورسالة الخلود

حفظه وإذاعته فى العالمين

للأستاذ حسنى طه شكيبانه

إذا كان القرآن كتاب الوجود ، ونور الحياة ورسالة الخلود . . .

وإذا كانت مصر — كنانة الله فى أرضه — حافظة القرآن ،ومعهد فقهه ، ومجمع علومه ، وحصين رسالته ، وجيش دعوته . . .

وإذا كانت نهضتنا الكبرى تؤذن بانطلاق قوى الحق غلابة قاهرة ، مشرقة زاهرة تهدى إلى الحق وإلى صراط مستقيم . . .

فقد آن لصوت القرآن أن يأخذ طريقه لكل مجال فى الحياة ، حياة العروبه التى صنعتها فكانت به أمة القرآن وأمة الخلود ، وحياة المسلمين بعد ما رأوا بأعينهم كيف تتساقط النظم والتقاليد أمام خصم الحياة فلا يرقى بها كالقرآن ، ولا ينقذها من فوضى العقائد وضلال التفكير ، وظلام الإباحية ، ونار الحروب . . لاينقذها كالقرآن . . .

آن لصوت القرآن أن ينبعث فى العالمين ليجمع القطيع البشرى الذى أرهقته رحلة المعرفة بحثاً عن أمن الحياة ورقى الحياة . . .

واليوم موعدنا مع بقية وسائل المعرفة والإذاعة ليتم حفظه ونشره فى مختلف الآفاق فأعرنى ضميرك وجهدك فى موكب الحق حتى تعلو كلمته فى العالمين ، والله ولى النعم والتوفيق .

الإذاعة والتليفزيون :

تقوم بدور خطير فى إذاعة القرآن — والحمد لله — من قراء وتفسير وتمثيل لأفكاره وعظاته البالغات فكانت بذلك ضمير العروبة الذى عليه تلتقى القلوب فى

آسيا وافريقيا إليه يخفقون ويتعلقون بيد أنه ينبغى أن تذاع قراءات صباحاً ومساء بالترتيل العادى من غير تطويل وتفنن لمن يريد متابعة الحفظ ، وليكن ذلك بكل القراءات الصحيحة ليأخذ منه العرب جميعا غذاءهم وهو شيء علمنا بأن وزارة الأوقاف مع الإذاعة بسبيل إخراجه لقيادة الحياة — والله ولى التوفيق .

ولتعمد الإذاعة إلى قصص القرآن الكريم . فلتصنع منه تمثيليات كريمة وعلى النحو الذى يتم فى رمضان — وليكن فى كل مستوى ليغترف منه الصغير والكبير والأمى والعارف ، ويمكن أن يتم لها ذلك بعرض فى مسابقات لعمل قصص وتمثيليات فى مستويات شتى ، وبما يناسب كل أمة عربية فى لهجتها وذوقها فى الفهم . . .

كما تعمل مسابقات شتى فى حسن متابعة هذا القصص وفهمه ، وحفظ آياته ، وتقدم لهم الهدايا المناسبة من كتب القرآن وتفسيره وفى التلفزيون ينبغى عرض الآيات بدلا من صورة القارئ — أو بجانبها .

الإذاعة المدرسية : ولتعمد الإذاعة لتوجيه برنامج خاص بالطلبة فى الوقت المناسب لهم وليكن فى فسحة الغداء وفى المساء لعرض صورة الحياة الكريمة ، وقصص القرآن ، مع تقديم مكافآت للدارسين والحافظين لآيات القرآن فى كل صورة وقصة .

الإذاعة وعلوم القرآن : وعلى الإذاعة أن تعرض لآيات القرآن فى كل علم وفن فى صورة مناسبة لأرباب هذه المعرفة ، فآيات الطبيعة وخلق الكون ، وانبعاث الحياة من الأرض فى إذاعة خاصة موجهة لكلية الهندسة وكلية العلوم ومن على شاكلهم ، وآيات التشريع المقارن فى برنامج خاص لطلبة الحقوق ومن فى مشربهم ، وروائع الحكمة والأدب وفلسفة الوجود فى إذاعة موجهة للاداب وأضرابهم مع عقد مسابقات فى الحفظ والفهم لما يذاع أو يؤلف .

وينبغى أن تطلب للمستعين فى أنحاء العالم اقتراحاتهم ليفيدوا أكبر إفادة ومتعة من هذه الإذاعات لتؤدى رسالتها على خير وجه تعالى .

الصحافة :

لقد تناست الصحافة — أحيانا كثيرة — رسالتها فى الحياة فملأت صحائفها

بالمفاتن والمغريات والقصص المثير أو التافه أو المكرر والمتقارب فى أفكاره وصوره

وينبغى أن تعمد كل صحيفة لتخصيص ركن عن أدب القرآن وقصصه وتمثيلياته وعلومه وحكمته وتربيته ، كل بما يناسبها فى توجيه الحياة نحو كمالها وجمالها . فى خلق وفهم ، فى قوة ورقة فى فلسفة وحضاره .

ولكى يتم لها ذلك عليها واجب المسابقات فى التأليف ليعطيها الكتاب طاقات تفكيرهم ، وللمجتمع نور فهمهم فى كتاب الله . ومسابقات فى هضم ماينشر وحفظ آياته وأفكاره . . .

كما ينبغى تقديم كتيبات صغيرة أو كبيرة بثمن زهيد كما تفعل جريدة الجمهورية ووزارة الأوقاف أو هدية فى كل مناسبة ، كما تتبنى كل جريدة تعليم الطلاب من الممتازين حفظا وفهما وخلقا وحياة بنور القرآن الكريم .

السينما والمسرح

تخرج السينما والمسرح الوفير من القصص الطيب والرخص . . فأين دور القصص القرآنى صانع الأجيال ومربى النفوس وموجه الضمائر ، وبانى الحضارة فى العصور الوسطى فكانت فى العالم العربى والشرق نوراً ورحمة ...

إن على الكتاب أن يعكفوا على صياغة القصص القرآنى فى تمثيليات واعية ، مع عرض آياتها بخط كبير وصوت مؤثر فى جميع الروايات ، وفى مسرحيات كبيرة وصغيرة ، مستقلة أو قبيل عرض الرواية الرئيسية ... وأيضا — فى مسابقات الحفظ والفهم والتأليف — يندفع كتابنا وشبابنا مع حكمة القرآن — أكرم عاصم وأجل رسالة ...

المحافل : تعقد الهيئات والجمعيات عديداً من الاحفال والمؤتمرات فى نواديها ، فى المناسبات ، كجمعيات الشبان المسلمين ، وشباب محمد وأنصار السنة وغيرها ، ولو قدم لهذه الجمعيات بعض النتاج الأدبى والقصصى والعلمى فى نور كتاب الله الكريم فى مستويات شتى لكانت خير بشير ونذير لنفوس أبنائنا ومع إمدادها بالمحاضرين فى علوم القرآن وحكمته العالية .

الجندية وميادين العمل :

الإسلام قوة وعمل ، وحضارة وإصلاح ، وليس من المستقيم معه أن نعفى حافظ القرآن من الجندية — كما كان ذلك فيما مضى — فهذا شرف وتلك كرامة ، وأجل بهما لو اجتمعا ، بيد أننا نستطيع أن ندفع الناس لحفظ القرآن الكريم قبل دخولهم الجندية لو قد جعلنا لحفاظ القرآن ميزات طيبة — كتخصيص بعض المرتبات أو المكافآت العينية والمالية ، والسفر المريح لزيارة أهله ، وقربه منهم فى السفر إليهم مجاناً ، وإسناد بعض الأعمال المناسبة لهم ، ونحن — بحمد الله نضيف كثيراً من الميزات لجنودنا ؛ فلنعجل ببعضها للحفاظ فهم أهل الخير والبر ، وإننا لننتظر مع ذلك عهداً يمتلىء بحفاظ كتاب الله العظيم ...

ومثل هذا يتم داخل كل مصلحة حكومية ، وفى كل شركة ...

زخرفة المبانى والعظات البالغات :

كلنا ندرك مدى ما تفعله الحكمة فى النفوس دفعا للصالحات وتحذيرا من السيئات ، وليس ثمة أفعل فى القلوب من حكمة الله العظيم فى قرآنه ، فلنضع من آياته الكريمة فى مكان الصدارة من المجالس ، ولاسيما فى بناء المساجد والمدارس تحت السمع والبصر حتى تعشق النفوس معانيها .

وحبذا لو زيلناها بالنتائج والمنكرات — على النحو الذى نراه فى بعضها اليوم .

المسجد ووزارة الأوقاف :

المسجد بيت القرآن ، ومهبط نوره ، ومسرى بيانه — حفظا وعظة ودعوة وهداية ، وقد أولت الوزارة فى عهدها الميمون — المساجد والقرآن بكثير — والحمد لله — فأمدتها بمكتبات عامرة بحكمة القرآن ومصاحف وتخصيص دروس للتفسير والحديث والفقه والتاريخ ، وفتحت المسجد لتحفيظ القرآن بعد العصر وخصصت جوائز ثمينة للحفاظ ، ومن ذلك الحج والزيارة ، ودفع المصروفات الجامعية . . .

ثم هى اليوم تشرف على تسجيل القرآن الكريم لإذاعته على العالمين وبترتيل يسهل معه متابعة الحفظ أو التصحيح . . . عدا كتيباتها الكريمة عن الإسلام مع مجلة منبر الإسلام كل شهر .

وكل ما نأمله هو أن يمضى هذا الموكب المشرق بعزيمة لا يخشى قلة المـــال ، ولا يعرقله ضلال الروتين أوضاره ؛ فإننا بهذا نبنى للمجد وللخلود ، وقد قال إمام الوجود : لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها : « لقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به لن تضلوا بعدى : كتاب الله وسنتى .

ومن الخير تشجيع — كتاتيب القرى — مع الإشراف عليها وتزويدها بالفنيين والمال اللازم لنهضتها — فقد كتب إلى صديق كريم ببلدة البركة — مركز ملوى — يخبرنى بقيام المخلصين بتحفيظ القرآن فى المسجد حيث حفظ أبناء القرية فى عدد طيب وإقبال رائع يبشر بخير عميم بالرغم من العراقيل فى طريقهم ، وهو يرجو من السيد وزير الأوقاف والسيد وزير التربية أن يوليا مشروعهم بما يستحقه من تقدير تبذله الوزارتان مخلصتين فى كل مكان . . .

وثمة عادة كريمة لعلها تنتشر بين الحافظين ، وهى أن يجتمعوا للقراءة بالترتيب كل يقرأ ربعا ويستمع الآخرون ، فخير الذكر كتاب الله تعالى ، وحبذا لو شجع رجال التصوف هذا اللون العظيم من ذكر الله مع حضراتهم . .

المصاحف : وإنه لينبغى مع ختام هذه النظرات من حديث عن طبع ملايين النسخ من المصاحف تسهم فيه كل وزارة بنصيب لتوزع هدايا مع الصحف فى مواسمها أو بثمن زهيد .

تمويل مكافئات التشجيع :

ويمكن تمويل مكافآت التشجيع من تبرعات الشركات والصحف ودور السينما ، عدا ما تخصصه كل وزارة بما يناسبها ، فنحن ننفق الكثير على الكماليات فليكن منه نصيب وفير لأهم الضروريات شأنا فى بناء حضارة الخلود وأمة المستقبل الإنسانى السعيد : « كنتم خير أمة أخرجت الناس ... » .

فجر وضحى : لقد انبثق مع نهضتنا الأخيرة فجر السلام والسعدة للعالم فى فترة وعد بها عليم العلماء محمد صلوات الله وسلامه عليه كما وعد بها رب العالمين . . . يقول الرسول الكريم : « لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض ، حتى يخرج الرجل بزكاة ماله ، فلا يجد أحدا يقبلها منه وحتى تعود أرض العرب مروجا وأنهارا ... » وقال : « بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ ؛ فطوبى للغرباء . . قالوا :

ومن الغرباء يا رسول الله ؟ . قال : الذين يصلحون ما أفسد الناس ... » يقول الإمام المراغى فى تفسيره : سيعود غريبا فى انتشاره فى العالمين كما انتشر أولا فى صورة رائعة سريعة ، وليس ذلك غير الآية الكريمة فى وعد الله العظيم : يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ، ولو كره الكافرون ، هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون » .

والنور هو القرآن وهو محمد . « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين » .

فهذا النور المنبثق مع ثورتنا البيضاء الكريمة تؤذن بضحى مشرق فياض بالخير والنعمة والحكمة ، ليس من أجلنا فحسب ، بل للعالمين أجمعين فى هدى شامل يبحث عن نوره الغرب ، وفى سلام كريم يتطلع إليه العالم الضال ...

يا قوم . . هذا هو النور . . فأين نحن منه ؟ . .

يا قوم . . هذا هو الخلود . . فما الذى ينبغى أن نقوم به لنرسى قواعده ؟.

يا قوم . . هذا هو القرآن العظيم ، فلتتكاتف كل الجهود فى شرق وغرب لحفظه وإذاعته فى العالمين أجمعين لنسهم بأوفى نصيب فى حضارة الإنسانية وسعادتها ...

« ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء ، وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » .

والله ولينا . . نعم المولى ونعم النصير . ؟

أقصر الطرق إلى الله

للأستاذ محمود سلبى

ما هو أقصر الطرق إلى الله ؟ .

ما هى أسرع الوسائل الموصلة إلى الله ؟ .

نلقى هذا السؤال وذاك ، على الناس جميعا ، بمناسبة اشتغال العالم كله بإطلاق سفن الفضاء .

والناس اليوم قلقون مضطربون ، يريدون أن يضعوا أيديهم على « زر » فاذا هم فى جنب الله ، فى أقل من لمح البصر ، تماما كما يضغطون على « زر » فاذا سفينة الفضاء تنطلق بهم إلى حيث شاءوا من الأرض أو من السماء ! .

نعم ... إن انسان ما قبل الفضاء ، غير انسان ما بعد الفضاء .

لقد كان انسان ماقبل الفضاء يصبر على المسافات ، ويصبر على الأبعاد والساعات.

أما انسان ما بعد الفضاء فأصبح لا يصبر على المسافات ، ولا يطيق انقضاء الساعات الطوال حين يسافر فى أقطار الأرض .

وسوف يصبح الإنسان ، بعد قليل من الزمان ، ذريا فى طعامه ، ذريا فى سفره ، ذريا فى أحلامه .

وسوف يمرق الانسان من نقطة انطلاقه من الأرض ، إلى الفضاء فى دقائق ، ثم يمرق من الفضاء إلى ما شاء من الأجواء ، ثم يمرق من الأجواء إلى ما شاء من الكواكب ، ثم يمرق من الكواكب إلى ما شاء من النجوم ! ! .

وأحلام اليوم حقائق الغد ...

فما رأى السادة حملة العلم ، ودعاة الدين ، فى هذا الذى نحن فيه ؟ .

ما رأيهم فى إنسان اليوم ، وكيف نطور الدين معه ، ليدور مع فهمه وذوقه ؟ .

ما رأى الذين يجمدون كأنهم خشب مسندة ، فلا يريدون للناس هدى ، ولا يدعون الناس يهتدون ! .

كيف يمكن أن نسوق إلى الناس ما كان يساق إلى أسلافهم منذ ألف عام ؟ .

كيف يقف الدعاة والوعاظ والمرشدون ، يديرون أفواههم بكلمات ليس فيها من حياة العصر من شيء ؟ .

نريد أسلوبا صاروخيا يصلنا إلى الله سريعا .

نريد شيئا إذا فعلناه وصلنا إلى الله ، بأسرع مما يصل به رجل الفضاء إلى السماء .

نريد هذا الأسلوب ... فهل يمكن العثور على هذا الأسلوب ؟ .

وهل هو موجود فى هذا الدين ... وإن الدين عند الله الإسلام ؟

نعم ... بل إن الإسلام فى حقيقته هو الدين الصاروخى ، وهى العقيدة الذرية الفعالة بأسرع مما تفعله الصواريخ وسفن الفضاء .

فما هو هذا الأسلوب من الكلام ؟

تعال معى ، وأقرأ معى قوله سبحانه . « وإذا سألك عبادى عنى ، فإنى قريب ، أجيب دعوة الداع إذا دعانى ، ليستجيبوا لى ، وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون » .

تأمل قوله « وإذا سألك عبادى عنى » وانظر اعجاز الآية . واتساعها وشمولها ، واحتوائها لأسئلة البصر جميعا فى كل زمان ومكان ! .

إذا سألك عبادى ؟ .

الآية تعبر تعبيراً معجزا عما يتوق كل إنسان إلى سؤاله والاستفسار عنه .

دائما يسأل الناس وسيسألون ... عن أهم شيء فى حياتهم ... عن سر هذه الحياة ، كيف كانت ، كيف تمضى ، كيف تنتهى ، وما غايتها ، وما هو الذى يمسكها وينظمها ويبدعها ؟ ؟ .

عنى ؟ .

عنى أنا الله يسأل عبادى ، على اختلاف أفكارهم وأديانهم وألوانهم ولغاتهم ، الجميع يسألون عنه ، عن الله الذى أوجدهم ، ورزقهم ، ويميتهم ويفعل بهم ما شاء .

وإن من مخلوق إلا ويسأل عن الله ...

وهنا تتجلى روعة التعبير ...

عنى أنا الله يسأل الناس ... فهل علموا عنى شيئا ؟

كلا .. مازال الناس غرقى فى ظلام تكوينهم لا يعلمون شيئا ولا يستطيعون .

وحتى هنا ... وتبدأ المرحلة الخطيرة من الآية ... مرحلة ما وراء السرعة فى هذا الدين ... وما وراء السرعة فى الإسلام ، حين يدعو الناس إلى الله .

فإنى قريب ؟ ؟ .

اعلن يا أيها الرسول إلى الناس كافة أنى قريب إلى كل إنسان .

أنا أقرب إليه مما يتصور ، أنا أقرب اليه من نفسه « ونحن أقرب إليه من حبل الوريد » .

ليس الله بعيداً عن أحد .

إن الله أقرب إلى الناس من أنفسهم إنهم يستطيعون الوصول إليه فى أقل من لمح البصر .

إن سفن الفضاء ، ومحاولات الهواء ، التى يريدون الوصول بها سريعا إلى السماء ... كل هذا يبدو بطيئا جدا ، بالنسبة إلى السرعة التى يستطيع أى إنسان أن يصل بها إلى الله .

إن أى سفر للفضاء يحتاج إلى شىء من الوقت ، ولكن السفر إلى الله لا يحتاج إلى وقت أبدا .

كيف هذا ؟ . كيف يقال هذا ، والسفر إلى الله هو أشق الأسفار ؟

تالله إنى لأصدقكم القول فلو لا تصدقون ؟ .

دعوا ما يملأ صدوركم ، وما يثقل عقولكم ، وما توارثتموه عن آبائكم ، وتعالوا إلى الله أطفالا على الفطرة التى فطركم عليها .

تعالوا إلى الله أطفالا ، فإن الله يحب الفطرة التى فطر الناس عليها .

اطرحوا أيها الناس من عقولكم ذلك الحشو الذى تملأون به رءوسكم ، وتظنون أنه شىء وما هو بشىء .

ثم التوا إلى الله ... وسوف تجدوا الله ...

وسوف تعجبون فى أنفسكم ... آلله قريب منا إلى هذا الحد ؟

نعم ... إن الذى يحول بينك وبين الله هو انصرافك عنه ، ولو أقبلت عليه لأقبل عليك ... استغفر الله لو اتجهت اليه لوجدته .

إنك أنت الأعمى ... إن الله قريب منك دائما وأبداً ... ولكن بشرط أن تبصر .

وهكذا يعلن الله جل وعلا الحقيقة الكبرى بينه وبين عباده ... حقيقة قربه منهم جميعا ، على اختلاف ألسنتهم وألوانهم

وهذه الحقيقة تمحو أوهام الواهمين ، وتبدد أحلام المتقاعدين ، وتدفع الناس دفعا إلى الله رب العالمين .

ثم تعلن السماء إلى أهل الأرض شرطها الوحيد ، ليتحقق قربهم من الله .

أجيب دعوة الداع إذا دعان ؟ .

الله يجيب دعوة الداعى إذا دعاه ؟ .

إذا ناداه قال لبيك عبدى ؟ .

فكيف الطريق إلى هذا المقام ؟ .

فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى ... ذلك هو الطريق ... وهو أقصر الطرق إلى الله ... وأسلوبه أن تتخلع من عبادة الأصنام ...

هناك صنم المال ... عليك أن تكفر به ...

وهناك صنم الشهوات ... وعليك أن تحطمه ...

وهناك صنم الهوى ... وعليك أن تنسفه ...

تلك الطواغيت التى أذلت الإنسان ، وهدت كيانه ، وأصمت آذانه ، وأعمت أبصاره ، ينبغى تحطيمها كلها ...

ثم التقهقر إلى حالة الطفولة الأولى ، كما ولدتك أمك ...

فاذا ما تمت لك التخلية من المعاصى ... جاء دور التحلية بالإيمان ...

سر بعد ذلك إلى الله ... بقلب سليم ... وروح طائر فى الملكوت ...

سنشعر بعدها بلذة الانطلاق إلى الله ... وهى لذة لا تدانيها لذة الانطلاق إلى الفضاء ... ولا تساويها لذائذ المادة مجتمعة .

ذلك أن الانطلاق فى سفينة الفضاء انطلاق للجسد محدود ، ولكن الانطلاق إلى رب السماوات انطلاق للروح غير محدود .

ومتى استطاع الانسان أن يعيش بقلب سليم ، فقد وصل إلى مقام « لا خوف عليهم ولاهم يحزنون » .

ذلك المقام الذى يأمن فيه الإنسان فلا يخاف ، ويسعد فيه فلا يحزن .

فما هو القلب السليم ؟ .

القلب السليم ، هو القلب المتجه إلى الله المعرض عمن سواه .

ومتى سلم القلب ، استقامت الجوارح على أمر الله .

القلب السليم ، هو القلب الذى يدير مملكة الجسد لحساب ملك الملوك .

الذى يعلم أنه مخلوق لله ، ولا ينبغى أن يعبد إلا الذى خلقه وسواه .

ولعل هذا من أسرار قوله صلى الله عليه وسلم « إنما الأعمال بالنيات » ... لأن النية موضعها القلب .

فمتى كان القلب متجها إلى الله ، كانت الأفعال والأقوال لله ، ومتى كان القلب متجها إلى غير الله ، كانت الأفعال والأقوال متجهة إلى غير الله .

ولعل هذا أيضا من أسرار ما اختتم به صلى الله عليه وسلم ذلك الحديث « فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى امرأة ينكحها أو دنيا يصيبها فهجرته إلى ما هاجر إليه » — أو كما قال — .

وانظر إلى التعبير بالهجرة ، دون سواها ، لأن المهاجر من هجر ما نهى الله عنه ، ولأن من أراد السير إلى الله لزمه أن يهجر أولا ما نهى الله عنه ، ثم يبدىء فى السير إليه سبحانه .

إلا أن هجر المعاصى لا خير فيه إن لم يكن الدافع اليه هو الرغبة فى الاتجاه إلى الله ، وهو ما يسمى بالنية ، وهو عزيمة القلب على شىء ما ...

ومتى انعقدت النية من الانسان ، أى متى قامت بنفسه إرادة الاتجاه إلى الله ، رأيته يتخلع من كل شىء يعوقه عن السفر .

إنما مثل المسافر إلى الله ، كمثل رجل أراد أن يسبح فى الماء ، تراه يخلع ملابسه كلها ، ثم يطرحها وراءه ، ثم يلقى بنفسه إلى الماء فرحا مسرورا ، فاذا ما استوى على الماء أحس بلذة السباحة ، وتمنى ألا يعود إلى الشاطىء أبدا .

كذلك الإنسان إذا صح منه العزم للسير إلى الله ، تراه يخلع الدنيا عن قلبه ثم ، يلقى بنفسه إلى بحار القدس ، تسبح فى آفاقها ، تريد القرب من الله ربها .

وهو فى سبحه هذا يشعر بلذة فائقة ماحقة ، يتمنى عند مايمر بتجربتها ألا يعود إلى الانغماس فى الدنيا بعدها أبدا .

ولعل هذا من أسرار قوله صلى الله عليه وسلم « وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يلقى فى النار » . — أو كما قال —

ذلك هو الطريق إلى الله ؟ .

رغبة حارقة تقوم بالنفس ، يدفعها شوق حارق للسفر إلى الله .

ثم انخلاع تام من المعاصى ، وانصهار تام فى الطاعات .

ثم يبدء المسافر إلى الله الشوط ... وإن له فى بحـــار العظمة الإلهية سبحا طويلا .

سوف يسبح ... ثم يسبح ... ثم يسبح ... لأن الله يناديه ... أقبل عبدى ... وهو يهتف ثم يهتف ... لبيك اللهم لبيك . ؟

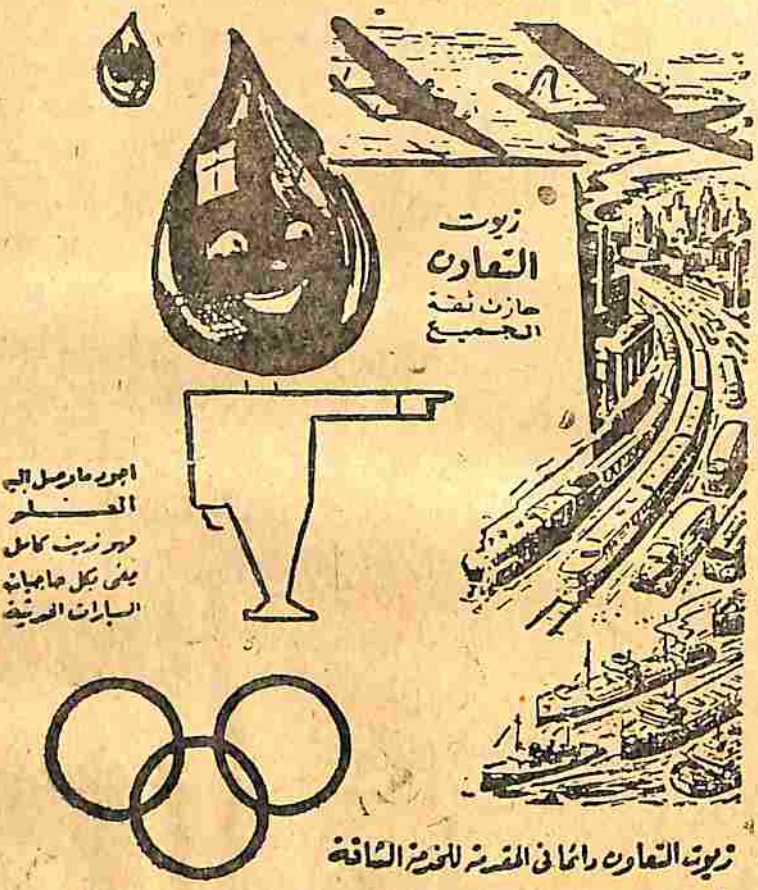

زيوت التعاون دائما فى المقدمة للخدمة الشاقة

الجمعية التعاونية للبترول

بعض المبادىء القانونية فى القرآن

للبكباشى حسين محمود ابراهيم

أستاذ القانون الجنائى — ماجستير فى القانون

« ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ، ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحـــدا » .

لم تأت القوانين الوضعية بمبادىء ولا قواعد قانونية لم يأت بها الإسلام من قبل . وقد كان الناس قبل الثورة الفرنسية يحاكمون عن أفعال لم تكن محرمة ولم تكن مخالفة لقانون أو ناموس طبيعى إنما كانوا يحاكمون وفقا لمشيئة الحاكم . وكان ذلك من الحكام تحكما ومن الناس خضوعا وهم صاغرون إذ لا حول لهم ولا قوة . ثم جاءت الثورة الفرنسية بمبادىء تهدف إلى العدالة وتحد من نير الحكام الظالمين . فجاءت فيما جاءت به بمبدأ « لاجريمة ولا عقوبة إلا بناء على قانون » ، حتى يعلم الناس مالهم وما عليهم . وحتى لا يؤخذوا على غرة . ولسنا فى حاجة إلى أن نقول — إيضاحا للمبدأ — أن أساس العقوبة هى مخالفة الأوامر القانونية الثابتة . بمعنى أنه لابد من وجود القانون الذى يبين الأوامر والنواهى .

وإذا رجعنا إلى الشريعة الإسلامية من قبل ذلك بزمن سحيق نجد أن منطقها السماوى أنه لا تكليف إلا برسالة وتبليغ ، فنجد نصوص القرآن متضافرة فى تأكيد هذا المعنى السامى فلا توجد عقوبة من غير رسالة رسول ينذر ويبشر ويعلم الناس أمر دينهم ودنياهم وحتى يبين الرشد من الغى وعندئذ يحاسبهم الله حسابا دقيقا . فقد قال سبحانه وتعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) أى رسولا يدعوهم إلى الإيمان ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . وقال جل شأنه (وإن من أمة إلا خلا فيها نذير) نذير يبلغ المسىء بسوء العقبى إن خالف ويحسن العقبى إن أطاع . وقال الحاكم العادل (وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا) وقال جل من قائل (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة

بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيما) . فقد اقتضت حكمته جل وعلا أن يبعث الرسل مبشرين بالثواب لمن آمن وعمل صالحا وبسوء العقاب لمن سعى فى الأرض مفسداً .

إن المبدأ الذى جاءت به الثورة الفرنسية مبدأ جامدا تغالى واضعوه فأحصوا الجرائم عداً ووضعوا لكل جريمة نصا بجرمها وعقوبة لها . وقد ترتب على ذلك :

١ — قاعدة عدم القياس فى القوانين الجنائية . فلا يعتبر الفعل مجرما لأنه يشبه آخر معترف له بصفة الجريمة قانونا أو لاتحاده معه فى العلة .

٢ — قاعدة التفسير الضيق أى تطبق النصوص كما هى مكتوبة دون تجاوز فى المعنى أو النص .

٣ — ليس للقانون الجنائى أثر رجعى فهو لا ينص إلا على ماسيرتكب من أفعال بعد صدوره .

ولذلك نجد التشريعات الحديثة قد خرجت على هذا المبدأ الجامد للتخفيف من غلوائه بالوسائل الآتية :

١ — يمنح القاضى سلطة تقديرية واسعة النطاق حتى يتمكن فى كل واقعة تطرح أمامه وتبعا للظروف والملابسات التى اكتنفتها ، فله أن يعدل التهمة — مع تنبيه الدفاع — من شروع فى قتل مثلا إلى ضرب نشأت عنه عاهة لعدم توافر قصد القتل .

٢ — باستعمال الشارع ألفاظا غير محدودة المعنى مع ترك تحديد مفهومها للقاضى تبعا للظروف كاستعماله فى م ١٧٨ ع مصرى تعبير « إذا كانت منافية للآداب العامة » وفى م ٢٧٨ ع مصرى تعبير « فعلا فاضحا مخلا بالحياء » وفى م ٢٤٥ ع وما بعدها تعبير « الدفاع الشرعى » .

٣ — يمنحها القاضى سلطة واسعة فى تقرير العقاب فقد أعطى الشارع المصرى مثلا للقاضى عدة نظم يستعملها :

(ا) نظام الحدين الأدنى والأعلى .

(ب) نظام التخيير النوعى بين عقوبتين فأكثر .

(ج) نظام الظروف القضائية المخففة أو المشددة .

(د) نظام وقف التنفيذ .

٤ — بمنحها السلطة التنفيذية الحق فى تحديد مدة العقوبة التى يجب على القاضى أن يحكم بها بنوعها دون كمها ، كالحكم بالإرسال إلى الإصلاحية مثلا .

وحديثا يخفف الفقه والقضاء والتشريع من غلواء هذا المبدأ فيقر أحيانا التفسير الموسع الذى يصل إلى حد الأخذ بالقياس ، ففى فرنسا ومصر قاس الفقه والقضاء سرقة الكهرباء على سرقة المنقول المادى المحسوس . وتخول المادة ١٦ عقوبات روسى للقاضى اللجوء إلى القياس وتطبيق مواد القانون على الأفعال التى لم يذكرها بوضوح طالما أنها تهدد المجتمع فتقول « إذا كان هناك فعل خطير اجتماعيا وغير منصوص عليه صراحة فى القانون الحالى فإن أساس وحدود مسئولية فاعله تعين وفقا لمواد القانون التى تنص على الجرائم الأقرب إليها شبها من ناحية طبيعتها » ، فخرج بذلك القانون الروسى على قاعدة لا جريمة ولا عقوبة إلا بناء على قانون مراعاة لمصلحة المجتمع . فلا يفلت مجرم من العقاب بحجة عدم إمكان تطبيق النص القائم على فعلته التى يهدد المجتمع .

نعود إلى الدين الحنيف الذى أخرج الناس من الظلمات إلى النور فى وقت كانت أوروبا والعالم بأسره يتخبط فى دياجير الجهل والظلام فنجد أن الأساس فى اعتبار الفعل جريمة فى نظر الإسلام هو مخالفة أوامر الدين . فما كان من هذه المخالفات ما يجرى عليه الإثبات أى يمكن إثباته فى مجالس القضاء دون تجسس أو غيبة فهو جريمة لها عقاب دنيوى إلى جانب العقاب الأخروى وما كان لا يجرى عليه الإثبات كالكذب والحسد .. الخ فهو إثم له عقاب أخروى . كما نلاحظ أن نصوص الإسلام كلية لا جزئية نص على جرائم ستة هى البغى (وهى ما تسمى فى عصرنا الحاضر الانقلابات والخروج على الحكومة) وقطع الطريق والسرقة والزنى وقذف المحصنات والقصاص بكل شعبه جرائم الدم والاعتداء على الأطراف) وشرب الخمر والردة . أما باقى الجرائم فلم يتناولها الكتاب أو السنة بالتفصيل وترك لولى الأمر أن يقدر لها العقوبات بما يتناسب مع المجرم وجرمه ، وبما يكون به إصلاح العامة وسيادة الأمن وذلك بالتعزيرات . والوالى مقيد بالقياس على ما كان من جنسه حد . فيقيس مثلا النصب وخيانة الأمانة على السرقة على ألا يصل إلى الحد كقول الرسول الكريم « من بلغ حدا بغير عد فهو من المعتدين » فلا تقطع اليد فى النصب أو خيانة الأمانة وكذلك لا يجلد القاذف بغير زنى بحد الزنى وهكذا .

والتعزير تنفيذ لأمر دينى هو العمل على إصلاح الجماعة ومنع العبث والفساد. ومن ذلك يبين أنه لا يعتبر الفعل مباحا ما دام لم يرد عليه نص فى القرآن أو السنة ما دام فيه اعتداء على المصلحة. وما من أمر شرعه الإسلام بالكتاب أو السنة إلا كانت فيه مصلحة حقيقية وليست هوى جامحا ولا لذة عاجلة ولا شهوة منحرفة.

والمصالح التى يحميها الإسلام خمسة وهى ما فيه حفظ الدين وحفظ النفس وحفظ العقل وحفظ النسل وحفظ المال. وذلك لأن الدنيا التى يعيش فيها الإنسان تقوم على هذه المعانى التى لا تتوافر الحياة الإنسانية إلا بها. فالجرائم فى الإسلام ثلاثة أقسام جرائم الحدود وقد حدت وبينت وجرائم القصاص والديات قد بينها الشارع وبقيت جرائم ترك الشارع القدير أمر تقدير عقوبتها لولى الأمر بعقوبات عادلة مساوية لمقدار الجرم لا شطط فيها ولا تعسفا وهى جرائم التعزيرات.

وبذلك تكون الشريعة الإسلامية قد حرصت على المبدأ العادل دون جمود أو غلواء ودون أن يتمكن مجرم من الإفلات من العقوبة بحجة عدم وجود النص. إنما يجب على ولى الأمر أن يعلن العقوبات التعزيرية بكيفية يستطيع معها كل فرد إمكان العلم بالتجريم أى أن الإسلام لا يأخذ بنظرية افتراض العلم بالتجريم المأخوذ بها فى القوانين الوضعية والتى بدأت التشريعات الحديثة العدول عنها أخذاً بفكرة الإسلام وهى « إمكان العلم » فإذا لم يكن فى الإمكان حصول هذا العلم فلا إثم ولا عدوان.

ورب متسائل يقول ولماذا لم يترك الشارع بيان كل العقوبات لولى الأمر بما يراه أو لماذا لم يبين التقدير لكل العقوبات؟ والجواب على السوال الأول أن الشريعة الإسلامية تهدف إلى إيجاد مجتمع فاضل يمنع الاعتداء فى كل صوره وينشر الفضيلة ويأخذ بيد الناس إليها فكان لابد من وضع زواجر مانعة دون هذه الفضائل حتى لا تنتهك حرماتها. فحرص على الضروريات الاجتماعية وعلى ما يحمى المجتمع من كل ما يقوضه أو يؤدى إلى خرابه ودماره فنص على عقوبات زاجرة لها حتى لا تشيع الفاحشة وتنتصر الرذيلة. وأى أمة فاضلة تلك التى يشيع فيها الزنى وتضيع فيها الأنساب ولا يأمن فيها الرجل على عرضه أو عرض ذويه. فلا فضيلة اجتماعية إذا تهدمت الأسرة ولا يقضى على الأسرة إلا شيوع الزنى وشيوع الاتهام به (القذف). والسرقة تجعل الناس فى فزع مستمر مما حدث وذعر دائم وخوف مقيم مما عساه أن يقع. لذا كان لها ذلك الجزاء الصارم علاجا للسارق وتأمينا للناس على أنفسهم وأموالهم.

ثم عنى الإسلام بجرائم القتل وقطع الأطراف (جرائم الدم) إذ كان يسير بين الناس قبل الإسلام قانون الثأر وعدم تكافؤ الدماء . فإذا كان المقتول كبير قوم فلا تكفى رأس برأس ولا رءوس برأس فيسرف فى القتل . وإذا كان المقتول ضعيفا طل دمه ولم يجد من يطالب به فينطوى على غيظ وحقد شديد على المجتمع وعلى نار تأكل صدره وإن طالب بدمه لا يقوى على الانتصار له . فجاء الإسلام يقرر أن النفس بالنفس والعين بالعين والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص . وجاء على لسان النبى عليه الصلاة والسلام « المسلمون تتكافؤ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم » لا فرق بين أمير وصغير فالنفس بالنفس إن هلكت . وقال تعالى (ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل إنه كان منصورا) .

هذا فيما يتعلق بالرد على السؤال الأول أما الجواب على السؤال الثانى وهو لماذا لم يبين سبحانه وتعالى التقدير لكل العقوبات أن الناس يحدث لهم من الأقضية بمقدار ما يحدثون من أحداث فالنفس أمارة بالسوء وبقدر ما يوسوس لهم إبليس وما يفتح من مغاليق الفضيلة ما يصعب على النفوس الطيبه فتحد ويفتح لهم من الشر أبوابا . فلا يمكن لشريعة من الشرائع أن تحصى كل الجرائم التى يسول بها أبليس وتدفع إليها الشهوات الجامحة وإن كان من الممكن أن تنص الشريعة على أمهات الرذائل التى يمكن أن تجرى عليها الإثبات فى مجلس القضاء ويمكن لولى الأمر العادل الذى يحرص على حماية المجتمع والأخلاق والفضيلة والأموال والأديان والأعراض والعقول أن يسن من النظم ما يكون فيه حماية للمصالح الخمسة مراعيا العدالة بين الناس ومنع الفساد ويقيس ما لم يأت به نص على ما كان من جنسه حد . كتقبيل الأجنبية والمباشرة بلا جماع . . . الخ . فإذا كانت النصوص تتناهى فإن الحوادث لا تتناهى .

وبذلك تكون الشريعة الإسلامية قد أوجدت مبدأ لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص وحرصت عليه دون جمود أو تزمت أو عنت . وليس معنى ذلك أن ولى الأمر مطلق السلطان يضع ما يشاء من عقوبات تعزيرية بل هو مقيد بقواعد ثابتة .

١ — الغاية من التجريم هو حماية المصالح الحقيقية لا الأغراض أو الهوى الجامح باسم المصالح .

٢ — أن تكون العقوبة ناجعة فى القضاء عل الفساد .

الدين والحياة

للأستاذ حامد محمود الزفرى

وقيام بروتوكول الاسكندرية ١٩٤٥م وإنشاء الجامعة العربية كان تجسيداً للشعور العربى وتعبيراً عن وحدة الهدف غير أن ارتباط الحكام بقيود الموقف السياسى والاجتماعى بالنسبة لذواتهم ومناصبهم ، واندفاعهم مغامرين بحقيقة الحرية وبيعها لقاء نيشان أو رتبة أو إرضاء لمستعمر أو إبقاء على حكم ، الواقع أن بعض الوطنيين أفسدت السياسة ضمائرهم واختلط الأمر عليهم ، ولكن التراب لا يستطيع أن يفنى التبر وإن كان يخفيه أحيانا .

فلم تكد إسرائيل تعلن عن وجودها عقب إنشاء الجامعة فى سنة ١٩٤٨ حتى هب الشعب العربى وثار وتحركت الجامعة وتكون الجيش العربى وكان ما كان من شد القيادة بحبال الخيانة كما أشرنا فى مقال سابق ومن هذه الجولة العملية التى خاضتها الشعوب وانكشف فيها تيار الحكام والساسة ، وانحسرت تمثيليات الاستعمار وروايات الساسة عن انتقال القيادة والتوجيه من أيديهم إلى الشعب ، ففى سوريا قامت انقلابات ، وفى القاهرة شبت الحرائق ، وفى العالم العربى كله بانت طلائع الزحف .

ثم إن اليأس الذى أصاب الشعوب العربية من أسلوب المفاوضات أو (المراوغات) بين الحكام والمستعمر تارة وفى المحافل الدولية تارة أخرى هذه الظاهرة هى الأخرى زادت الوضع اشتعالا وأسلمت هذه الظروف وغيرها القيادات فى أيدى الشعوب .

ولم تكد ثورة ٢٣ يوليو فى مصر تعلن تأميم شركة القناة حتى تنمر لها الاستعمار وتربص بها الدوائر ومكر ... وصمم الشعب ، وكانت الواقعة وكانت حرب السويس سنة ١٩٥٦ نقطة هامة فى دفع الشعور والازدياد بحاجتنا إلى التماسك وتجسدت هذه الحقيقة مرة ثانية لا فى بروتوكول على الطريقة الدبلوماسية ، ولكن فى قطع شرايين الاستعمار وغضبة السكان من الخليج إلى المحيط وكلما زاد الضغط من الاستعمار زاد

الشعور العملى بالتقارب والوحدة وزادت الجامعة العربية تثبيتاً وإحياء ومن هذه المعركة وعلى أثرها عريت الحقيقة عن الأغلفة الاصطناعية والأقنعة الزائفة وباتت القومية العربية تعبر عن وجودها كنقطة بدء للانطلاقة العمرانية الكبرى فى محيط العالم الإنسانى وساحة القيادة الأصلية ومسرح التوجيه .

وكان قيام الجمهورية العربية المتحدة مرحلة من أولى تجسيد هذه الحقيقة ونحن نعتقد أن القومية التى لم يأت دور بحثها بعد . لم تكن غاية وليست هى النهاية . وإنما هى نقطة بدء لتكوين جبهة إنسانية مثالية تقود البشرية وسط مدلهمات الظروف والأحداث . إلى أيديولوجية هامة فى حياة العمران البشرى . ومن الممكن أن يكون اليوم الذى يتحقق فيه ذلك يكون خير قطاع وجودى وأبرع مرحلة تاريخية إذ أن النزوع العلمى والنبوغ الفكرى للإنسان بحاجة إلى سمو القلب ومثالية السلوك حتى إذا تم التوازن بين العقل والقلب والابداع والرحمة . كان السلام وكانت السعادة وذلك ما ستعثر عليه عندما نتعرض لمقومات الأيديولوجية العربية الثائرة الصاعدة .

والقومية كعامل تجمعى لشعب بعثرته الظروف وكقوة دافعة نحو تحقيق الذاتية لجماعة ما . قد تقوم على مقومات سياسية أو جنسية ... الخ . تماما كالذى حصل فى القرن التاسع عشر فى أوربا كألمانيا وإيطاليا .

وقد أودت هذه النزعة القومية بحياة تلك الجماعات حيث التوغل فى رفع قيمة الجنس أو الشطط السياسى كالنازية والفاشية وهنا يمكن أن يتساءل البعض قائلا : أليس مصير هذه النزعات القومية المتشابهة الظروف والأسباب والغايات ، وأليس هذا الدور التجمعى متشابه الصورة والغاية ، وأليس من الخير لنا ألا يكون همنا ما نحن فيه .

وفى الحق أن دور القوميات فى أوربا نتجت عنه مشكلات ونتائج خطيرة فبانحراف القومية الألمانية والإيطالية وبسبب هذه الانحرافات قامت الحرب ، وأهلك الحرث والنسل . ولوى زمام الفكر نحو التخريب وأدوات الدمار .

وهنا يمكن أن نضع أيدينا على حقيقة هامة ونقطة فاصلة حاسمة بين القومية العربية والقوميات الأخرى والتى بسببها كنا فى حاجة الى دعاة فاهمين ورسل مخلصين وموجهين ورعين وقوميين مؤمنين لدفع العجلة وتطوير المفاهيم وتنوير الأذهان.

ذلك لأن القومية العربية لا تقوم على الجنس والظروف والآمال والآلام أو الوحدة الاقتصادية والظروف السياسية . الخ . ليس على هذا فقط . ولكن لأنها تقوم على نزعة إنسانية ودعوة عالمية . وهذا يوضح ارتباطها بالخلود والبقاء ، والنمو والتطور . والاعتدال وعدم الشطط . والتطلع إلى الأمن والسلام ، والحرية والرخاء وتاريخها مع البشرية منذ كانت كان كذلك ، فلقد وسعت وهضمت جميع العناصر التى قابلتها إبان إزدهارها من فارسية وهندية وإغريقية . والخ . ومزجت ذلك كله واستخلصت منه ما ينفع ونفخت فيه من روحها الإنسانية ومبادئها العالمية ، وإذا كانت خطة هذه القومية مرتبطة بأهداف إنسانية . وأغراض عمرانية وفلسفة كونية واتجاهات لا عصبية وتغذت جذورها بالمبادىء والقيم الخالدة فهى بطبيعتها تسع الاتجاهات السائدة للأمم والشعوب ما دامت تلتقى معها فى الأهداف والغايات . كالاتجاهات الآسيوية والأفريقية التى تجمتع وإياها فى وحدة المقصد الصاعد كالحرية والسلام ، هذا من الجانب السياسى العملى فى المؤتمرات والمحافل الدولية ، ومن الجانب النفسى والباطنى والغاية الجماعية التى يرتبط بها الأفراد وتجتمع الجماعة وينتظمها كالدين . فالقومية العربية كما أشرت هادفة إلى إشباع الدافع الاعتقادى وهى أيضاً بطبيعتها غير متعصبة لدين معين ، ففى فترة حياتها الأولى ونموها التاريخى كانت الأديان جميعاً تنعم فى ظلها بالأمن والمزاولة . لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم .

ومن هنا يمكن أن نلاحظ مدى ما صادفته من نجاح فى المجالات الأفريقية والآسيوية ومنه على سبيل المثال مؤتمر الدار البيضاء الذى تطور بسرعة وقوة خارقة وتحول من مشاورات ووجهات نظر إلى بروتوكول هام وتحول خطير واتجاه قوى وتحضير دسم لتغذية القومية الأفريقية ، ثم إن سعة صدر قوميتنا وفكرة الحياد الإيجابى وبعث هذه الكتلة المثالية لإحداث التوازن بين المعسكرين المتسابقين وكفهما عن الأغراض الحربية العدوانية وجـــذب النتائج الفكرية والاتجاهات العلمية والاختراعية والنهوض العقلى إلى حوزة السلام والعمل من أجل رفاهية البشر ، من هذا العرض الموجز السريع الذى نلمح فيه إصالة القومية وعدم عنصريتها وعالمية غايتها وأنها إنسانية ولم تكن عربية إلا لأن العرب هم الذين حملوا مشاعلها وبثوا مبادئها وقادوها ووجهوا الإنسانية ونحوها ؟

يتبع

القبض والبسط

لشاعر العراق الأستاذ إبراهيم السكواز

كلمت حبي سحراً ... فجاءني حال السَكْر
قلت حبيبي سيدي ... إرحم ، فلست الا بشر
قبض وبسط جللا ... في حالتيْ مد وجزر
ذاب فؤادي بالجفا ... وزال عني السمر(١)
وامحى ذياك الصدا ... وكنت أرجو يستمر
شكراً لرب منعم ... موازياً شكر البشر(٢)
إذا جنب مني العدا ... كالسحر سحر مستمر(٣)
فطأطأوا عند الرؤس ... وكانت أفعى في مدر(٤)
شكراً لرب مثلما ... برأ عبداً من زور(٥)
وكان في ذاك رضا ... له لقبض منتظر
فابسط يمينك إنني ... مجبولها ، كلي شكر
واعذرني أن أخطأت في ... تعبيريَ إني بشر
فأنت أكرم من يجود ... وللوجود فذٌ فبرْ

---

(١) السمر المسامر .
(٢) يعني بقدر شكر كل البشر .
(٣) صرفهم وأبعدهم وحولهم من حال إلى حال .
(٤) المدر الطين العلك .
(٥) الزور : إشراف أحد جانبي الصدر على الآخر . وهو هنا كناية عن مرضى القلب الذي شفيت من ضغطه بالعلاج الروحي في النوم .

الحرية الاجتماعية عند الصوفية

للاستاذ فوزى عرفة

— ٢ —

والآن ما هو معنى الحرية عند الصوفية؟ أى ماهو التعريف الذى تقدم به الصوفية للحرية؟ بالطبع لا يمكن لنا أن نجد تعريفاً جامعا لها إلا ذلك التعريف الذى يشمل جميع الأنواع التى أسلفنا ذكرها: وهى الحرية السيكلوجية والاجتماعية والميتافيزيقية، وقد وردت تعريفات للحرية فى كتب الصوفية كثيرة بعضها يشمل الحرية السيكلوجية والآخر يجمع بين السيكلوجية والميتافيزيقية والبعض الآخر يشمل الحرية الاجتماعية: فعرفوا الحرية مرة بهذا التعريف السيكلوجى وهو «أن لا يكون العبد تحت رق المخلوقات» أو «الاعراض عن الكل» وعرفوها مرة ثانية بذلك التعريف الميتافيزيقى وهو «الاقبال على من له الكل» أو «ألا يدخل قلبك سوى الله» وذكر الصوفية تعريفا اجتماعيا للحرية وهو قولهم: «معظم الحرية فى خدمة الفقراء» قال أبو على الدقاق: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام إذا رأيت لى طالبا فكن له خادما.

وهكذا نجد الصوفية عندما يعرفون الحرية لا تضيق نظراتهم فيعرفونها من جانب ويهملون جوانب أخرى لا تقل أهمية عن ذلك الجانب الذى يركزون عليه وإنما يحاولون أن ينتبهوا إلى جميع شعاب الموضوع حتى لا يقعوا فى شر التعصب والمبالغة وقد أحسنوا كل الإحسان عندما سلكوا هذه السبيل لأنهم استطاعوا أن يقدموا للانسانية الحل الواقعى الصحيح لمثل هذه المشكلة الهامة.

أما كيف كان ذلك؟ فالأمر على هذا الوجه: نحن نعلم أن الإنسان قبل أن يقوم بتنفيذ الفعل لابد له من درجات شعورية يسلكها واحدة إثر الأخرى حتى يصل فى النهاية إلى مرحلة العزم والتنفيذ ويمكن لنا أن نلخص هذه المراحل على اختلاف جوانبها فى ثلاث مراحل: الأولى مرحلة الاستثارة والنزوع والأخرى مرحلة الإرادة والمنازعة بين أنواع الاستثارات المختلفة والمفاضلة بينها واختيار أفضلها عن طريق حكم التزامى

يلتزم به المرء بينه وبين نفسه . ثم تأتى بعد مرحلة التصميم السابقة مرحلة ثالثة وهى مرحلة التنفيذ حيث ينساب الشعور الداخلى إلى واقع ملموس وذلك عن طريق الفعل الذى يقوم به الإنسان .

هذه هى درجات الفعل التى يمر بها منذ حدوث الاستثارة والنزوع حتى مرحلة التنفيذ والواقع : وقد تحدث هذه المراحل متشابكة فيظن الإنسان أنها لا تسير فى ترتيب منتظم بينما لو أمعن قليلا لوجد أنه يقوم بهذه العمليات الشعورية الداخلية فى انتظام وترتيب يجعلها شيئا لا شذوذ فيه .

وقد فهم الصوفية هذه المراحل تمام الفهم ووعوها كل وعى ورأوا أن أول طريق تسلكه الذات للتحرر هو خلع الدنيا والبعد عنها حتى لا يتأثر الإنسان فى قرارذاته بأى عرض من الأعراض فيستقيم عقله ويبتعد عن الجور فى الأحكام وطالبوا الإنسان بأن يتحرر من كل قيد وخصوصا حجاب التقليد وفى ذلك يقول الغزالى « وإنما يرتفع حجاب التقليد بأن يترك التعصب للمذاهب وأن يصدق بمعنى قوله لا اله إلا الله محمد رسول الله تصديق إيمان ويحرص فى تحقيق صدقه بأن يرفع كل معبود له سوى الله تعالى ، وأعظم معبود له الهوى حتى إذا فعل ذلك انكشف له حقيقة الأمر فى معنى اعتقاده الذى تلقفه تقليداً فينبغى أن يطلب كشف ذلك من المجاهدة لا من المجادلة » وطالبوا الإنسان كذلك لتتحقق له الحرية بان يقلع عن المعصية وأن يلجا إلى الخلوة والصمت والجوع والسهر ثم يشتغل بالذكر والمراقبة والفكر حتى يكبح جماح نفسه ويمنعها من ولوج باب الكبر والعجب والرياسة وما إلى ذلك من المهلكات .

وتأتى بعد هذه التصفية والتنقية عملية النية والإخلاص والصدق فإذا أخلص الإنسان اندفع عمله نحو الخير وأصبح قريبا من الهداية والرشاد ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نية المرء خير من عمله » ثم تأتى مرحلة هامة بعد ذلك وهى مداومة المراقبة والمحاسبة والمجاهدة والتفكر فى النفس الإنسانية وخلق الله تعالى .

وبهذه الكيفية يمتلك الإنسان وسائل تحقيق الحرية بجميع جوانبها : السيكلوجية والاجتماعية والميتافيزيقية أما من الناحية السيكلوجية فقد أصبح مالكا لزمام نفسه يسيرها كيفما يشاء ويصدر أحكامه فى روية وتدبر وإمعان وتفكير وان تستطيع شهوة مهما قويت أن تمنع الذات من إقرار الأحكام الصائبة التى يطبقها الإنسان وينصرف إلى تحقيقها ولهذا لا يهتم الصوفى بأعراض الحياة حتى لا يؤثر ذلك فى أحكامه

وقراراته عملا بقول الرسول « إنما يكفى أحدكم ماقنعت به نفسه وإنما يصير إلى أربعة أذرع وشبر وإنما يرجع الأمر إلى آخره » وعملا بقول المشايخ « إن الحرية هى سقوط التمييز عن القلب بين الأشياء فيتساوى عنده أخطار الأعراض » واتباعا لحارثه رضى الله عنه الذى قال للرسول عليه الصلاة والسلام « عزفت نفسى عن الدنيا فاستوى عندى حجرها وذهبها » ولهذا قال الأستاذ ابو على الدقاق « من دخل الدنيا وهو عنها حر ارتحل إلى الآخرة وهو عنها حر » وهكذا نرى ان الصوفية عضواً بالنواجز على تحقيق الحرية السيكلوجية وذلك بألا يتركوا فى نفوسهم ذرة من طمع وقد صدق الشاعر حين قال :

الحر عبد ما طمع والعبد حر ما قنع

وصدق ابن عطاء الله السكندرى عندما قال « انت حر مما انت عنه آيس وعبد لما أنت له طامع » وسئل الجنيدعمن لم يبق عليه من الدنيا إلا مقدار قص نواة فقال : « المكاتب عبد ما بقيت عليه درهم » وقال الجنيد « إنك لا تصل إلى صريح الحرية وعليك من حقيقة عبوديته بقية » وبهذا يحقق الصوفى حياد عقله بين مختلف القضايا المعروضة أمامه فيستخدم هذه الوسيلة الموهوبة له فى تبصر موقعه من الحياة ومعرفة طريقه فى الوجود وهو لهذا يندفع ليحقق وجوده ويعيش ذاته ويخوض معركة الحياة بكل ما فيه من طاقات إبداعية وقدرات خلاقه .

عرفنا كيف وصل الصوفية إلى تحقيق الحرية الذاتية إلا أنهم لم يقفوا عند هذا الأمر فساروا فى الطريق إلى آخر الشوط وقد برهنوا بذلك أن الحرية التى حاولوا امتلاكها لم يسيئوا استخدامها فيكونوا كالطفل الغرير الذى امتلك نصلا حاداً فراح يضرب به ذات اليمين وذات الشمال فتناثر من حوله الجثث دون أن تطرف عينه بدمعة واحدة يذرفها من أجل هؤلاء الضحايا ، أقول لم يفعل الصوفية شيئا من ذلك وإنما برهنوا على أن الحرية التى ينالونها إنما تكون فى نهاية الأمر الوسيلة لتواضع النفس وكبح جماح الشهوة من أجل سعادة البشر والاندماج فى سلك الكون والخضوع التام للذات الإلهية ، ولهذا كانت حرية الصوفية نقطة الانطلاق فى سبيل خدمة الفقراء ومن هنا يمكن لنا أن نفهم قول الحسين بن منصور الحلاج « من أراد الحرية فليصل العبودية » وهذه العبودية لها جانبان : جانب اجتماعى فتسمى حرية اجتماعية وجانب يبين الصلة بين الصوفى والله فيسمى حرية ميتافيزيقية .

أما الحرية الاجتماعية فتكون فى خدمة الفقراء ، قال أبو على الدقاق « أوحى

الله تعالى إلى داود عليه السلام : إذا رأيت لى طالبا فكن له خادما وقال صلى الله عليه وسلم « سيد القوم خادمهم » وقال يحيى بن معاذ « أبناء الدنيا تخدمهم الإماء والعبيد وأبناء الآخرة تخدمهم الأحرار والأبرياء » وقال إبراهيم بن أدهم « إن الحر الكريم يخرج من الدنيا قبل أن يخرج منها » وقال أيضا « لا تصحب إلا حراً كريما يسمع ولا يتكلم » .

وقد ضرب الصوفية فى استعمالهم لهذه الحرية الاجتماعية بوجهها الذى بيناه أروع الأمثلة فى التضحية والفداء والبذل والجهاد والمصابرة والجلاد والمرابطة والعمل فكانوا قادة الإنسانية فى هذا الإحساس الاجتماعى قبل أن تظهر نظريات المنفعة الجماعية والشيوعية المادية بما فيها من بشاعة وضعف واستبداد .

إن هناك فرقا كبيراً بين من يبذل من نفسه ودمه وروحه فى سبيل الجماعة وبين من يخضعه القانون للجماعة فذان أمران متناقضان أحدهما يعمل بالاقتناع والآخر يعمل بالقوة والقمع والخوف وفرق بين من يبذل لإيمانه بالإنسانية والخير وبين من يجبر على البذل لتبادل المنفعة ودرأ الخطأ المحتوم من الجماعة أو من القانون على حد سواء .

ها هنا يتحقق التوازن بين الأنا واللهو بين الذات والآخر بين الفرد والجماعة ويظل للأمر جانبه الثالث وهو المحور الهام الذى دفع الصوفى إلى الحرية السيكلوجية والاجتماعية ، إنه جانب علاقته بالله : تلك العلاقة التى يراها خروجا من الدنيا بما فيها وعزوفا عمن فيها أى فى كلمة موجوزة الأعراض عن الكل والإقبال على من له الكل .

يقول القشيرى فى رسالته : قال أحد أهل المعرفة « اعلم أن حقيقة الحرية فى كمال العبودية . فإذا صدقت لله تعالى عبوديته خلصت عن رق الأغيار حديثه فأما من توهم أن العبد يسلم له أن يخلع وقتا عذار العبودية ويحيد بلحظة عن حد الأمر والنهى وهو عيز فى دار التكليف فذلك انسلاخ من الدين : قال الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم : واعبد ربك حتى يأتيك اليقين — يعنى الأجل » وقيل للشبلى : الا تعلم انه رحمن ؟ فقال : بلى ، ولكن منذ عرفت رحمته ما سألته ان يرحمنى » وقال بشر الحافى « من اراد ان يذوق طعم الحرية ويستريح من العبودية فيطهر السريرة بينة وبين الله تعالى » وقال الحسين بن منصور « إذا استوفى العبد مقامات العبودية كلها يصير

حداً من لقب العبودية فيترسم بالعبودية بلا عناء ولا كلفة وذلك مقام الأنبياء والصديقين : يعنى يصير محمولا لا يلحقه بقلبه مشقة وإن كان متحليا بها شرعا .

ولكن قد يقال : إن العبودية التى يرتضيها الصوفى للذات الإلهية إنما هى راجعة إلى الحتمية والجبر لا إلى الاختيار والكسب إلا أن الصوفية يردون على هذا القول بما لا يحتمل الجدل والتأويل فيقول الكلاباذى « وأجمعوا أنهم مختارون لاكتسابهم مريدون له وليسوا بمحمولين عليه ولا مجبرين فيه ولا مستكرهين له ، ومعنى قولنا : مختارون أن الله تعالى خلق لنا اختيارا فانتفى الإكراه فيها وليس ذلك على التفويض قال الحسن بن على رضى الله عنهما إن الله تعالى لا يطاع بإكراه ولا يعصى بغلبة ولم يهمل العباد من المملكة » وقال سهل بن عبد الله : ان الله تعالى لم يقو الأبرار بالجبر انما قواهم باليقين وقال بعض الكبراء « من لم يؤمن بالقدر فقد كفر ومن أحال المعاصى على الله فقد فجر » وهكذا يتبين لنا أن الصوفية ينظرون إلى مشكلة الحرية من جميع جوانبها ولا يهتمون بجانب ويهملون الآخر بل يوفقون بين جميع الموضوعات فى انسجام جميل وحبكة لطيفة تعطى لمذهبهم طرافة وجدة وتميزاً وانفراداً بحيث يبدو متماسك الأجزاء مجموع الأطراف قوى الحجة واضح البرهان ؟

آداب الطريق

للأستاذ عبد الحفيظ فرغلي القرني

الأستاذ بدار المعلمات بالزمالك

(٣)

هذه المراقبة لها أثر كبير فى تحسين السلوك ، ونحن إذا قسناها بمقياس « علم النفس » الحديث وجدناها عاملا مهما من عوامل التربية ، التى يحاول المربون والعلماء أن يأخذوا تلاميذهم بها ، بحيث يصبح للشخص رقيب من داخل نفسه ، يزن أعماله ، ويراقب تصرفاته ، فإذا ما حدث منه خطأ كان لتأنيب ضميره آلام تؤرقه ، وما زال هذا الرقيب يقوى ، حتى تصبح عادات الشخص الطيبة تلقائية غير متكلفة لا يصدر عنه إلا كل محمود الخصال والفعال .

وكثير من العادات السيئة التى يجهد المربون كثيرا فى محاربتها . تمكن الصوفية من القضاء عليها بفضل ما أخذوا أنفسهم به من آداب . فلسنا نرى صوفيا حقيقيا يتتبع عورات غيره ، أو يخوض فى سيرته أو يكشف أخطاءه ، ويتمنى سقطاته وزلاته ؛ لأنهم يرون فى هذه معوقات لهم عن بلوغ أهدافهم ، ولهم فى قول الرسول — صلى الله عليه وسلم — « طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس » ، ومن قوله « إن أحبكم إلى أحسنكم أخلاقا ، الموطئون أكنافا ، الذين يألفون ويؤلفون ، وإن أبغضكم إلى المشاءون بالنميمة المفرقون بين الأحبة الملتمسون للبرآء العيب » لهم من هذه الدرر وأشباهها منار يهتدون به ، ويقبسون من ضوئه .

وترك الفضول هذا ، هو الذى استوجب عندهم الخلوة ، واستعانوا عليه بالصمت وقاوموه بالذكر ، وقطعوا الطريق عليه بألوان المجاهدات ، لأنهم اعتبروا أن التدخل فى شئون الغير بغير ذريعة موجبة أمر مسف ، مضيع للشرف ، ومذهب للكرامة . وقديما قال الحكماء « من تدخل فيما لا يعنيه لقى ما لا يرضيه » وقريب من هذه العبارة قوله تعالى « يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » . وإنى لأترك للزمخشرى تفسير هذه الآية الكريمة ، حتى لا يظن ظان أنها تدعو إلى الانطواء

أو هجر المجتمع وترك إصلاحه فهو يقول : « وليس ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فإن من تركهما مع القدرة عليهما فليس بمهتد ، وإنما هو بعض الضلال الذى فصلت الآية بينهم وبينه » .

والصوفى يرى أن نفسه أحق بالاصلاح من غيرها ، فإذا هو تمكن من إصلاحها وتوجيهها ، وأحسن سياستها وقدر على التحكم فيها . أصبح أهلا لأن يرشد غيره وينصحه ويهديه سواء السبيل ، وهو فى سبيل ذلك يتحمل كثيراً من الآلام والمشقات والمتاعب التى لا يصمد لها إلا من وفقه الله وهداه ، ولابد له أن يجتاز سلسلة امتحانات عسيرة من شيخه ، عليه أن يجتازها جميعا بنجاح وتفوق ، قبل أن يأذن له فى القيادة والارشاد .

ولذلك نرى أن أبصر الصوفية وأعرفهم ، ممن كشف الله لهم الحجب ، وأطلعهم على بعض أسراره وألهمهم بحكمته قوة الادراك ونفاذ البصيرة ، واستجلاء الأمور ، يجدون حرجا كبيراً فى إهدار هذه الأسرار أو إظهار ما يعرفونه من عيوب مخالطيهم وغيرهم من الناس . فإذا ما أرادوا توجيههم سلكوا معهم طرق الإشارات والرموز أو ضرب الأمثلة أو غير ذلك مما لا يدعو إلى الاحراج ، أو يؤدى إلى الفتنة أو يكشف أستار الجلال .

ولا بد للصوفى أن يكون زاهداً حقيقيا ، بمعنى ألا يكون مستشرفا بقلبه إلى الشىء تاركا له بلسانه ؛ فإن هذا يتنافى مع حقيقة الزهد الذى كان شعار المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وحلية أصحابه من بعده .

وليس الزهد ضعفا كما يظنه بعض الناس ، ولكن الزهد هو القوة فى أجلى معانيها ؛ فليس أقوى من شخص تمكن من أن يقهر دواعى نفسه ، ويقضى على ما تستشرف إليه من حب كل ما تدعو إليه من زينة وجمال وعلو ، وقد قرأت للأستاذ طه عبدالباقى سرور فى هذا المعنى ما يلى : « يخطىء من يظن أن الزهد ضعف وهزيمة ، ولصوق بالأرض ، ورضاء بالذل ، وخناعة للظلم . فالزاهد شجاع كريم أبى ، ومجاهد سمح بالمال والنفس غير ضنين بهما يوم الروع والجلاد ، وإنما أسىء إلى فهم الزهد يوم أن ادعته طائفة عاجزة مرائية ، قعد بها الضعف والهوان فتسترت بالزهد والهوان ، وتلك أبغض الصفات للإسلام » .

والصوفية فى زهدهم لم يقفوا عند ظواهر اللفظ ، بل تحققوا به ، وجعلوه مقاما

من مقاماتهم الكريمة التى اكتسبوها بعد جهاد شاق مرير ، وتجاوز زهدهم حد الدنيا وما فيها من متاع إلى الجنة وما فيها من نعيم مقيم ، وهذه « رابعة العدوية » رضى الله عنها تكشف عن مقامها فى الجنة ، فتتمثل بهذا البيت :

إن كان منزلتى فى الحب عندكم ما قد رأيت فقد ضيعت أيامى

وسئلت : ما تقولين فى الجنة فقالت : الجار ثم الدار .

وعلى قدر تحقق الانسان بهذه الفضيلة ، ومقدار فهمه لها تكون درجته ومنزلته . وأساس الزهد عند الصوفية مبنى على هوان ما سوى الله عز وجل ، فكيف يعلق العاقل قلبه بالهوان ؟ كل شىء فى نظرهم يشغلهم عن حضرة الحق تافه لا قيمة له ، ولا ينبغى للمريد أن يشغل نفسه به ، حتى لا يعوقه هذا عن قصده ، ولو كان هذا الشىء هو الجنة نفسها . قال الحلاج رضى الله عنه : « علامة العارف أن يكون فارغا من الدنيا والآخرة » .

ومع الزهد — كما يقول ابن عطاء الله — تعظم قيمة الأعمال ، وتتضاعف ثمارها ؛ لأنها صادرة من قلب خال من الهموم ، خالص من الأوهام ، فينقطع إلى الله متفرغ لخدمة مولاه . فتظهر مسحة الجمال والجلال على صاحبها ، وبذلك يكتسب حظوة عند الله سبحانه وتعالى . فيجزل له العطاء ويوفى له الجزاء .

والشكر والصبر أمران لازمان للمريد ، ولا يزال يتحلى بهما حتى يصبح كل منهما مقاما له خطره وكماله .

ومعروف أن الشكر يكون فى حالة النعمة ، والصبر يكون فى حالة النقمة ، وكم يكون جميلا من المرء أن يتذكر الله فيشكره عليها ، ويتمثل قدرة الله فيصبر على قضائه وقدره ، ولكن الأجمل من ذلك عبد يرى المصائب نعمة تستحق الشكر ، ويرى النعم محنة تستوجب الصبر ، وهذا هو المفهوم الزائد للصوفية من هاتين الفضيلتين . فهم ينظرون فى كليتهما إلى المؤثر لا إلى الأثر . فإذا ما ابتلى الله عبداً منهم عد ذلك دليلا على أنه موضع رعايته ، ومحط عنايته . فهو يتقبل هذا الأمر بالرضا والتسليم والشكر الجزيل ، ومن هنا يجىء معنى قوله عليه الصلاة والسلام : المؤمن مصاب) فإذا ما ارتفع عن ذلك درجة آثر رضا الله على رضاه ورأى فى اختيار الله له غنى عن اختياره ، قال عامر بن قيس (أحببت الله حباً هون على كل مصيبة ، ورضانى بكل بلية) ، ويقول عمر بن عبد العزيز (أصبحت ومالى سرور لا فى مواقع القدر) .

وإذا ما أجزل له النعم فهم من ذلك عكس ما يفهم العامة منها ، فهو ينظر إليها على أنها استدراج له ، واختبار لعزيمته وامتحان لسلوكه ، فعليه أن يتقبل هذا الابتلاء بالعزم الصادق والقلب الثابت والإرادة الحاسمة ، التى تتبدد أمامها الخواطر النفسية التى تدعو إلى الركون والاستسلام والضعف ، ولعل هذا هو الذى يلتقى مع قول القائل :

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت ويبتلى الله بعض القوم بالنعم

أقول : إن الصوفية رضوان الله عليهم لهم مفاهيم زائدة على غيرهم فى الآداب والفضائل يدركونها بثاقب فكرهم ، ونافذ بصيرتهم ، ويكونون إزاءها شخصية مستقلة تشع نوراً وجلالا وعرفانا ، وتصبح هذه الإدراكات بمثابة منازل ينزلون فيها أرواحهم وقلوبهم ، فيستقون من فيضها ، ويقيسون من ضوئها ، ويشرقون على الملأ بفيوضات رائعة أخاذة ، وهم يطلقون على هذه المنازل مقامات ، ويكون ما يصدر عنها من إشعاع بمثابة الحال الذى يظهر ويختفى على حسب ما تقتضيه إرادة الله العظيم .

ولعلنا حينئذ أدركنا مقدار عناية التصوف بالأخلاق ، واعتبارها الأساس الأول الذى يبنى عليه قواعد طريقه ، بحيث لا يمكن لأى سائر مهما أخذ نفسه بألوان العبادات والمجاهدات أن يبلغ فى طريقه شيئا دون أن يأخذ من الأخلاق زاده ، وراحلته ، وإداوته ، ودليله ؟ .

آداب الذكر

للأستاذ محمد على حسين الحداد

آداب الذكر عن المشايخ عن الدردير وغيره رضى الله عنهم .

آداب الذكر فيها خمسة قبل الذكر واثنى عشرا فى أثناء الذكر وثلاثة بعد الذكر الخمسة الأولى الغسل أو الوضوء والتوبة النصوح الصادقة وأحكامها قلة الكلام وقلة المنام وقلة الطعام والعزلة بالقلب عن الأنام والمشى على شريعة سيد الأنام وعلامتها أن تحيى ما كان ميتاً وتميت ما كان عندك حياً وتحضر ما كان غائباً وهو الموت وتغيب ما كان حاضراً وهى الدنيا وبكاء بالدموع وسكون بالجوارح ثم يستمد من مربيه معتقداً إمداده من النبى (صلى الله عليه وسلم) . هذه قبل الذكر ثم جلوسه كحالة الصلاة مستقبلا ثم يضع يديه فوق فخذيه مغمضاً عينيه ثم يكون الجلوس على مكان طاهر فى ظلمة ثم الصدق فى الذكر لارياء ثم الإخلاص ثم طيب التوبة ثم التيقظ ثم طيب المجلس ثم نفى كل موجود عن القلب ثم الذكر ويكون بلا إله إلا الله ويجب على المريد أن يلاحظ أنها آية من كتاب الله تعالى ثم يتخيل صورة شيخ فى قلبه فى ذكره دائما وهذا من آكد الآداب وبعد الذكر الصمت والسكون مراقباً الوارد الذى يكون ثم نفسه يدمه مراراً لحصول الوارد ومنع شرب الماء إلا بعد ساعة ثم إذا كان الطالب يذكر فى جماعة وأراد أن يدخل فى مجلس الذكر فينبغى له أن يفرغ قلبه من الشواغل ويلبس أحسن ثيابه والأبيض أفضل ويأخذ الطيبة والسواك ويكون على طهارة كاملة بعده ويصحب فى فمه شيئاً من العطريات مالم يكن صائماً فإذا لم يكن الذكر قائماً ولم يفتح الذكر قبّل يد أستاذه وسلم على إخوانه ثم يجلس مقاديا وإن كان الذكر قائماً قال فى سره دستور ياأهل الطريق دستور ياأهل القدم

ثم يدخل وإذا أرادوا افتتاح الذكر استأذنوا بقلوبهم أصحاب الطريق والقدم بعد الاستئذان من الله ورسوله .

وأفادنا الأشياخ فى الابتداء . يستأذن المريد من أستاذه يقول دستور ياسيدى فلان فى دخول حضرة النبى (صلى الله عليـــه وسلم) ثم يقول دستور يارسول الله وهو مستحضر ذاته الشريفة كأنه بين يديه مستأذناً منه صلى الله عليه وسلم فى دخول حضرة الله سبحانه وتعالى ثم يقول دستور ياالله مستأذناً فى هذه الحضرة المقدسة وعند الختام يستأذن من العلى الأعلى عكس الدخول .

حقيقة الاسلام

للمستشرق الإنجليزى (ر . هـ . نولت)

عرضه الأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

— ٣ —

٤ — الحرب المقدسة :

الجهاد فى سبيل الله أو الحرب المقدسة دفاعا عن الدين والوطن ، ضد الكافرين الذين يناصبون المسلمين العداء ويقفون فى سبيل دعوتهم حجر عثرة ، عمل مطالب به كل مسلم بل وفى حكم الفرائض الخمس السابق ذكرها ، وكثيرا ما يضاف إليها بدليل نزول كثير من آيات القرآن تحض المسلمين على الجهاد وتشتمل على وعود فيها الخير الكثير والثواب العظيم فى الآخرة وهناك سورة كاملة تكاد تكون كلها حضا على الجهاد فى سبيل الله :

« كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم » .

« ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيما » .

« انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون » .

« إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » .

« ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله » .

وللقرآن فى هذا المقام طريقة فريدة ، فهو عندما يحض المسلمين على القتال ، يثبتهم ويقوى روحهم المعنوية ، حتى ينزلوا إلى المعركة وهم واثقون من النصر ، ما داموا

متبعين لأوامر قوادهم ، لأنه يبين لهم أن النصر ليس معقود على الكثرة العددية ، ولكن على قوة الإيمان والصبر « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين » .

« إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون » .

ومع ذلك فإن هذه الحرب لا تقوم اعتباطا ولا يتلبس لها المسلمون أو هى الأسباب ، لأن لديهم القوة التى تبدد شمل عدوهم وعندهم الوعد من ربهم بأنه يشترى منهم انفسهم بأغلى ثمن ، ذلك الثمن الذى يتمناه كل مؤمن بربه ... بل على العكس من ذلك لا يقدمون على هذه الحرب إلا مضطرين بعد نفاذ كل حيل السلم ، فهم يتلمسون طرق السلام والبعد عن مثيرات الحرب ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا .

« وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم »

فليس الإسلام دين حرب وسفك دماء ، ولكنه دين سلم واخاء ، يعمل على نشر مبادئه بالحسنى ، كما يدفع أعدائه باللين ، فإن عجز لجأ بعد ذلك إلى القوة .

وقد كان خليفة المسلمين أيام الأمبراطورية الإسلامية يجمع بين مختلف الزعامات ، فهو الزعيم الدينى والزعيم السياسى والقائد الأعلى للجيوش الإسلامية فى مختلف الميادين ، وذلك لأن الحرب المقدسة لم تكن تختلف عن الحرب السياسية فى شىء ، بل إنهما تسيران جنبا إلى جنب .

بيد أنه عندما ضعفت الدولة وفقد الخليفة مركزه هذا ، أصبح الجهاد فى سبيل الله عملا يتوقف على الصفات الأخلاقية الشخصية ، وعلى ما يتمتع به المسلم من قوة الإيمان وثبات العقيدة .

ولقد بذلت فى السنوات الأخيرة جهود كثيرة لأحياء تلك الحرب المقدسة ودفع المسلمين إلى الجهاد فى سبيل الله ، ولكن هذه الجهود لم يكتب لها النجاح .

***

إن المسلم الحق ، التقى المخلص هو الذى يقوم بأداء كل الفرائض اليومية ، ويشعر بما تتضمنه من تكاليف ثقيلة ، وربما كان أداء كل هذه الفرائض يتسم ببعض الخلاف بين إقليم وإقليم . غير ان المسلمين جميعا يشتركون فى إيمانهم بأن الله فرض عليهم قتال الأعداء فى قوله :

« كتب عليكم القتال وهو كره لكم ... » .

كإيمانهم بالله وصومهم شهر رمضان وعدم تركهم الصلاة وكثيرا منهم يحرص على الاشتراك فى القتال كما يحرص على صلاة الجماعة كل يوم جمعة وكل عيد من أعيادهم .

إن المسلم يحرص أن يكتب له جهاده فى سبيل الله ، فى كتابه الذى سيأخذه يوم القيامة بيمينه ، هذا الكتاب الذى لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، لأنه يثاب على الاشتراك وتثقل به موازينه يوم الحساب ، كما يثاب على بقية الفرائض الأخرى .

إن أداء الفرائض التى كتبها الله على المسلم ، يعتمد عليها المسلمون فى نجاتهم من العذاب ، إذ أنه ليس فى الإسلام وساطة كتلك التى تتعهد بها الكنيسة .

الإسلام دين الحياة الكامل

اقتصر بحثنا فيما سبق على أن الإسلام دين يتضمن ما تعنيه كلمة « الإسلام » من عبادات ودعاوى إلى الخير والسلام لإنقاذ معتنقيه .

والآن تريد أن نبحث أمورا يتضمنها الإسلام أكثر من مجرد العقيدة والعبادة التى تنتظم العلاقة بين العبد وربه.

ليس الإسلام دين عبادة فقط . ولكنه دين عبادة ودين عمل يضم بين جنباته كل ما تحتاج إليه الحياة ويحتاجه الناس فيها . فهو ينظم العلاقة بين الإنسان وأخيه الإنسان . وينظم افكاره وتصرفاته الخاصة والعامة . الاجتماعيه والفردية . إلى حد بعيد جداً عما نعرفه نحن فى تجاربنا اليومية العادية .

والذى يدرس الإسلام دراسة منزهة عن الأغراض . يجد انه نظام فريد فى تكييف الطريقة الكاملة للحياة .

والشريعة الإسلامية . هى خلاصة عدة قرون امضى فيها رجال الدين الإسلامى من متفقهين ومجتهدين ايامهم فى إحكام وضع تعاليم الله كما انزلها فى القرآن وكما قررها محمد عليه السلام فى السنة فى على شكل اوامر ونواه تنير الطريق امام الناس وترشدهم إلى ما فيه خيرهم . هذه الشريعة تعتبر العمود الفقرى للمجتمع الإسلامى .

والحق الذى لا مراء فيه ان الشريعة الإسلامية كانت منذ بزوغ فجر الإسلام ، القانون الذى اخذ بيد المسلمين إلى طريق الحياة الصحيحة . وقادهم إلى أرقى درجات الحضارة ووصل بهم إلى أعلى مراتب النجاح .

فالشريعة تنظم حياة المسلم ، وتعلمه كيف يؤدى فرائض الله على وجهها الصحيح وكيف يوقر والديه ويضعهما فى موضعهما اللائق بهما . وهل هناك شريعة حثت على حسن معاملة الوالدين كما حثت عليها شريعة المسلمين التى تقول :

« وقضى ربك الا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا » .

والتى تنص على مصاحبتهما بالمعروف حتى ولو أرادا ان يصداه عن عبادة الله .

« وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا » .

كما أنها تبين للمسلم ماذا يلبس وماذا يأكل إلى غير ذلك مما يعتقد الكثيرون أنه لا دخل له بالدين ولا يمس العقيدة فى شىء .

ولكن الباحث المدقق يجد أن كل شىء فى حياة المسلم يمس عقيدته أشد المساس .

وفوق ذلك فالشريعة الإسلامية تضع قواعد الزواج والطلاق والوراثة وتوضحها توضيحا لا يحتاج إلى شرح . وتنظم شئون العائلة تنظيما كاملا وتحدد موقف كل فرد فيها وتبين ما له وما عليه .

وقد لجأ أكثر المشرعين الحديثين الذين يهتمون بحياة الأسرة ويعملون على وضع قواعد تنظمها ، إلى شريعة الإسلام يستقون منها النظم ويستعينون بقواعدها فى تنظيم الشئون العائلية ، ولكنهم فى الحقيقة لم يستطيعوا الاتيان بجديد .

فالشريعة الإسلامية أوسع مجالا مما نعرف للشرائع الدينية من قوانين ولوائح ، لأنها خلاصة لا للقواعد القانونية وحدها ، ولكن للقواعد الدينية والأخلاقية والمدنية أيضا .

وشريعة الإسلام من أهم أغراضها تنظيم أعمال الإنسان. ولما كان المسلم العادى كثيرا ما تلتبس عليه أعماله ، فلا يدرى أهى موافقة للدين أم مخالفة له ، لذلك وجدت منذ فجر الإسلام طبقة من العلماء الذين فهموا الدين حق الفهم وتفقهوا فيه ، اطلق عليهم المسلمون كلمة (المفتين) مهمتهم الإجابة عن الأسئلة التى يوجهها إليهم المسلمون يسألون فى مختلف شئون دينهم كما يقومون بشرح ما غمض على الناس من أمور معاشهم .

هذا النظام (نظام الافتاء) لا يزال إلى يومنا هذا قائمين بين المسلمين .

(البحث مستمر)

الإنسان الكامل عند الجيلى

للاستاذ عبد اللطيف محمد القيسى

(٢)

أشرت فى العدد الماضى إلى نظرية الإنسان الكامل عند الصوفية ، وذكرت ما يعنيه الصوفية بهذا الاصطلاح ، ونوهت بتطور هذه النظرية ، وكيف كان رأى فريق من الباحثين حولها . ثم ذكرت أننى سأعرض لوجهتين من النظر لنرى فيهما صدق ما ذهب إليه الباحثون حول هذه النظرية ، أو مبلغ الخطل فى الرأى الذى رأوه .

فعبد الكريم الجيلى المتوفى ١٤١٧ م صاحب كتاب « الإنسان الكامل » ، يذهب فى نظريته عن الإنسان الكامل إلى أن أفراد النوع الإنسانى متطابقون فى الخصائص ، فهم صورة واحدة ، لا يفرق الواحد عن الآخر منهم إلا فروق عرضية ، هذا من وجه ، أما الوجه الآخر فهو يرى أن ثمة مثلا اختلاف من بعض الوجوه بين أناس وأناس ، إذ أن ثمة أفراد قد بلغ بهم إرهاف الحس ، وجلاء النفس مبلغاً تبدو معه الأشياء على صفحة هذه النفس مبلغ الفعل والظهور ؛ وفريق آخر من الناس قد أظلمت شعلة نفوسهم ، وخبت أنوار قلوبهم ، فلم يعد لهم مواهب ومدارك إلا بالقوة . والفريق الأول ، ممن صفت نفسه ، ودقت روحه ، وانكشفت له عوالم الغيب وتوصل إلى المعرفة اليقينية ، إنما هم أفراد الإنسان الكامل من الأنبياء والأولياء الكمل ، والذين يعتبر أكملهم على الإطلاق النبى محمد عليه الصلاة والسلام وما عداه فهم منتسبون إليه ، لاحقون به .

وحين يصف لنا الجيلى حقيقة الإنسان الكامل ، فإنما هو يصف لنا ما أطلق عليه الصوفية اسم « الحقيقة المحمدية » الأزلية ، التى كانت أول الخلق ،

ثم عنها صدرت سائر الأكوان والتعينات ، ومن جملة تعيناتها الأنبياء والأولياء الكاملين .

فهذا الإنسان الكامل على هذا المعنى ، إنما هو القطب الذى تدور عليه أفلاك الوجود ، ومركز الكائنات ، وإنسان عين الوجود ، وهو على هذا ذو مكانة سامية فى عالمى الأمر والخلق ، فله قدرة تصرف فى الأول ، وهيمنة وحفظ فى الثانى .

والإنسان الكامل حقيقة واحدة أزلية ، وهى ما زالت كذلك إلى الأبد . وما تعدد أفراده على مد العصور إلا مظاهر وتعينات لتلك الحقيقة المحمدية الأزلية ، إذ أن لهذه الحقيقة قدرة على التصور فى كل صورة ، وحسب مقتضيات العصر والزمان . والجيلى لا يعنى بهذا قولا بالتناسخ ، أو أخذا بمذهبه ، وإنما لهذه الروح قدرة خاصة على القصور والظهور بشتى الصور العديدة . وهى لا تهدف بذلك إلا حمل رسالة شريفة ، تسعى لإعلائها ... تلك الرسالة إنما هى إصلاح الناس ، وتقويم ميلانهم ، وكأن الولى الكامل حين ينهض بهذا العمل إنما يتابع عمل النبى المرسل ، فيخلفه فى نبوته . ويمكن أن يعد الولى الكامل بهذا المعنى خليفة النبى بعد مماته فى الظاهر ، والحقيقة المحمدية إنما جوهره الباطن . وهذه هى مهمة الإنسان الكامل حين يواجه الناس بحقيقته ، وتلك غايته حين يسعى لحفظ العالم .

أما الإنسان الكامل من حيث مركزه فى الوجود ، فإنما هو يقابل بحقيقته حقائق الموجودات فى العالم العلوى والسفلى على حد سواء ، إذ هو بلطافة روحه يقابل الحقائق العلوية ، وهو بكثافة جسده يقابل الحقائق السفلية . والعالم على هذا إنما هو صورة له ، وثمة تقابل بين الصورة ، أى العالم ، وبين الإنسان الكامل .

وهذا الأخير ، أى الانسان الكامل ، هو أيضا صورة الحق ، التى خلقها الله على صورته ، كما جاء فى الأثر من أن آدم قد خلق على صورة الرحمن . وبناء على هذا فإن ثمة تقابل بين صفات الحق وصفات الإنسان الكامل وبين أنيته وأنيته ، وهويته وهويته وبين كل ما للحق من مقتضيات الكمال . فالانسان الكامل إنما هو كذلك لأنه صورة الحق ، وهو بهذا قد حاز الكمالات الالهية وسائر التجليات . ومن هنا كانت لذلك الانسان تلك المكانة والمرتبة السامية بين الموجودات .

وإن كان الأمر ما قد ذكرنا ، فقد صح عند الجيلى أن الانسان الكامل مثاله للحق مثال المرآة التى ترى فيها ذاته لذاته من وجه ، وللخلق من وجه آخر . ويعتبر الانسان الكامل على هذا مناط الأمانة الالهية ، التى أبت أن تحملها السموات والأرض والجبال غير أن الانسان حين يجهل ذلك يكون قد ظلم نفسه ، إذ يضعها فى غير موضعها ، وينزلها عن مكانتها السامية الفريدة بين الوجودات .

ويقسم الجيلى صفات الانسان الكامل إلى قسمين فمنها صفات كالحياة والعلم والقدرة والارادة ، وصفات أخرى كالأزلية والأبدية والأولية والآخرية ... وهو فى علمه مثلا إنما يتم له هذا العلم خلواً عن التعلق بالرسوم والأشكال ، بل يتم له هذا العلم عن طريق الكشف اليقين ، فيشهد من أسرار الكون مادق منها ، ويعاين ما خفى من أمور الوجود . وهو فى علمه وكشفه بعيد عن الخداع والضلال ، إذ ليس لخواطر النفس أو خداع الحواس أثر أو تدخل ، فهو يحمل فى باطنه قدرة نفسية تمنع عنه الخواطر ، كما أنه ليس بحاجة إلى آلة من آلات الحس ، كى يتحقق بالعلم والمعرفة . ومن هنا كان علما لا شك فيه ، ويقينا لا شبهة عليه . وهكذا فى سائر صفاته ، لقد أسلم له كل شىء فى الكون ، وأصبح كل ما فيه رهين تصرفه وهيمنته وهو يتدرج فى هذا الطريق بين برازخ ومقامات ، حتى يصل فى النهاية مقام الختام .

***

يتضح لنا من هذا العرض لنظرية الجيلى فى الانسان الكامل ، أنها لا تختلف كثيرا عن تلك النظرية عند محيى الدين بن عربى . إذ أن كليهما يطلق لفظ الانسان الكامل على هذين المعنيين : الحقيقة المحمدية الأزلية المطلقة التى كان عنها صدور المخلوقات ، ومفيضة العلم فى قلب كل صوفى ، ومنبع النبوات وجوهر الرسل والأنبياء . ثم الانسان الكامل الذى تحقق بالتجليات الالهية ، وبلغ مرتبة سامية من حيث جلاء المعدن ، وصفاء الروح فأدرك وحدة الذات الالهية الكامنة فيه ، وحمل أمانة ذلك ، وأصبح متخلقا بأخلاق الله كما ذكر النبى عليه الصلاة والسلام .

فذلك الانسان إذن هو صورة الرحمن ، وهو من أجل ذلك استحق مرتبة الخلافة

والنيابة عن الله فى الأرض ، وحين يكون على وعى بهذا ، ومتحققا بما وعاه يكون قد بلغ مرتبة الكمال الانسانى والسمو الروحى . وهو كمال قد خرج عن درجة القوة ، وأصبح كمالا بالفعل ، ولم يعد ذلك الإستعداد العام فقط . وهذا ما يميز الانسان الكامل عن غيره من أفراد النوع الانسانى ، إذ أن هؤلاء هم كاملون بالقوة فقط ولم يصلوا بعد إلى مرتبة الكمال الفعلى .

وحتى يخرج الانسان العادى من رتبة الكمال بالقوة إلى درجة الكمال بالفعل فإنما عليه أن يعبر برازخ ثلاث يتحقق له بعدها مقام الكمال . وهو فى البرزخ الأول : يتخلى عن متعلقات ذاته ، ويفنى عن رسومها وصفاتها ، ويقبل على التحقق بالأسماء والصفات الالهية ، وحين يتجلى الله على عبد من عباده باسم أو صفة ، إنما يمحى تحت ذلك التجلى كل ما للعبد من أسماء وما يتصف به من صفات ، ويثبت له هذا التجلى بذلك الاسم أو تلك الصفة .

أما البرزخ الثانى : فهو برزخ التوسط بين الرقائق الانسانية والحقائق الرحمانية وهنا يتم للانسان علم سائر الممكنات ، والاطلاع على ما شاء من أمور الغيب . وفى البرزخ الثالث : تتم للعبد معرفة الحكمة القائمة وراء الأمور القدرية ، ويمكنه عن طريق تلك الحكمة أن يقوم بخارق العادات حتى تصبح له هذه عادة فى طبعه فيؤذن له بعد ذلك فى إبراز هذه القدرة فى ظاهر الأكوان ، وهو حين يتمكن من ذلك ، ويصبح له من الثبات والاستقباب والرسوخ يشرف على مقام الختام .

ويتضح لنا من هذا أن سبيل الكمال هو مفتح الأبواب أمام السالكين ، ولن يصل إليه إلا من تجرد وتحقق ، وأفنى نفسه عن علائقها ، وأخلص قلبه لربه وبارئه فالانسان الكامل على هذا — حسب نظرية الجيلى — إنما هو إنسان صوفى ! ! .

وهذه النظرية عند الجيلى إنما تأتى متكاملة مع مذهبه فى وحدة الوجود ، فهو يذهب إلى أن الحقيقة الوجودية واحدة ، وما الخلق إلا جزء مكمل للحق بمثابة الصفات التى تقوم بالذات . فثمة تناظر بين الله والعالم ، أو كما يقول : الصفات عين الذات ولا شىء أزيد منها .

وهذا العالم من وجه هو صورة الانسان الكامل ، إذن فثمة تقابل بينهما فى الخصائص والسمات ، والانسان الكامل هو صورة الرحمن التى خلقها مرآة لذاته كى ترى فيها صفاته ، ويعتمد الجيلى كغيره من الصوفية على هذا الحديث القدسى « كنت كنزا مخفياً فأحببت أن أعرف ، فخلقت الخلق فبه عرفونى » فهناك تقابل أو تناظر بين الحق والانسان الكامل والعالم بناء على هذا . ويعتبر الانسان الكامل وسطا بين طرفى الحق والخلق ، فهو جامع للصفات الحقية والخصائص الخلقية ، وعلى هذا يكون الانسان الكامل ملتقى صفات الكمال والنقص ، وصفات الايجاب والسلب . . . ؟

« يتبع »

الصوفيون والتعاون

للأستاذ على مرسى نوفل

التعاون تساند وترابط فى الحياة وقد دعتنا الأديان إلى فعل كل خير وكل جميل ليسود الحب والسلام ولتخف الأحقاد ولتطمئن النفوس وأنذرت المتخلفين عن المساعدات بالوعيد والتعاون مقابلة للشقاء والمتاعب وهى قديمة فى الوجود واعتبر الإسلام الكلمة الطيبة صدقة ودعت القوانين المدنية إلى التكافل الاجتماعى لاستقرار الحياة والتعاون المادى هو أول أنواعه والنهضات الدولية فى جميع عصور التاريخ حركتها الأزمات والدعوة إلى التعاون نوع من حب الخير العام .. قدم وفد من العرب على معاوية بن أبى سفيان وفيه الأحنف بن قيس فقال الحاجب لا يتكلم أحد منكم إلا لنفسه فقال الأحنف لكل واحد حاجة من معروف أمير المؤمنين فقال له لقد تكلمت عن الشاهد وعن الغائب وزيد من هذه النادرة أن التعاون لا يكون بين الأصدقاء بل بين الجميع وهو قائم وظاهر بين جماعات النمل والنحل . . . وقال هل من أهل الرحلات إن الحيوانات والطيور لا تجتاز الصحراء الواسعة المخيفة إلا بالتعاون وقال الفيلسوف نوبيل إن أكبر قوة هدامة هى الأثرة وأكبر قوة للنظام هى التعاون والتعاون شعار الأخاء والمحبة .

والفتوة التى تدرس فى مدارسنا نوع من التعاون وقال التسترى الصوفى هى سمى العبد فى أمر غيره .

وكان صلاح الدين فى الحروب الصليبية إذا رأى فتوراً ينادى أين أهل الفتوة .. واجتمع مشايخ بغداد إلى أبى حفص وتحدثوا الفتوة فقال الجنيد هى ترك الرواية إلى الأعمال وقال أبو حفص هى الانصاف والتضحية . فقال الجنيد لإخوانه . قوموا فقد زاد أبو حفص على ذرية آدم وقد جاد كبيب بن مامه بقسطه من الماء .

وهو فى الصحراء إلى أخ له يوماً ويوماً حتى أضر به العطش وطلبوا منه متابعة السفر فعجز ومات وضرب به المثل فى الإيثار :

يجود بالنفس إن ضن البخيل بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود

وقال حكيم لامرية فى أن الإنسان لا يهنأ بالحياة دون الشجاعة وكل جماعة لا تتضافر آحادها على التعاون تكون محرومة من المتانة الخلقية والقوة المعنوية ولا تستطيع أن ترد عدواناً وأحن الأخلاق هى غريزة الإيثار .

وقال ابن مسكويه لما كانت الخيرات الإنسانية كثيره وكانت القوى التى تصدر عنها كثيرة كذلك ولا تستطيع طاقة الإنسان أن تقوم بجميعها وجب أن يقوم بكثير منها كثير منهم . . وقال الفارابى لا يستطيع الإنسان أن ينال الكمال إلا باجتماع هيئة متضافرة فيقدم كل واحد لغيره ما يحتاج إليه . .

وكانت الفتوة أولا تطلق على القوة ثم استعملت للسخاء والكرم واشتهر بها العرب لحياة الصحراء ثم شملت الحياة الاجتماعية وجعلوا لها شعاراً فى أيام الدولة العباسية وهو الحذاء الطويل والثوب الأبيض والقلنسوة وأمر الناصر لدين الله العباسى أن يشربوا كأسها وهو ماء فيه ملح وكان ذلك بدعوة من الأشراف وعملوا فدائيين وانتسبوا إلى الإمام على وحافظ على نظامها المماليك وأشار نابليون إليهم فى حركته على مصر ومبدؤها الدرسى عندنا يقوم على الإيمان والأمانة والتعاون نوع من الاتحاد ولا يستفيد من الشقاق إلا أهل الأغراض والأهواء ومن الطرائف أن واحداً من المشتغلين نزل قرية أهلها فى حاجة إلى المطر وتطوع باستمطار السماء إذا نقدوه بعضاً من المال فجمعوا له المال ثم طلب منهم أن يتفقوا على ساعة نزوله فقال فريق إننا لم ننته من إعداد الأرض وقال فريق قد انتهينا وقال فريق نزيده غزيراً وقال فريق نزيده قليلا فقال إذا اتفقتم نزل المطر وفر بالمال .

والإخلاص فى المشورة نوع من التعاون ويقول علماء النفس إن إهداء الأفكار من غير أجر مساعدة لها قيمتها وهذا يحرك النفس ويخلق لها المتعة وقال أمرسون إن الهدية الفكرية جزء من النفس وقال فرانكلين عندما تسعد الناس تسعد نفسك . وقال لنك الأمريكى إن السعادة لا تأتى إلا عند إنكار الذات .

وقال سليمان الحكيم لقمة عيش يابسة مع السلام والتعاون خير من بيت قد امتلأ بالذبائح مع الخصام والتباغض وقال النبي عليه الصلاة والسلام لكل شيء مفتاح ومفتاح الجنة حب الفقراء والمساكين .

ومن طرائف أهل الفتوة أن صوفيا زار صديقاً له فى نيسابور ثم خرجت جارية لتصب الماء على يديه فقال ليس من الفتوة أن تصب النساء الماء على أيدى الرجال . . ولما أخذوا ذا النون إلى الخليفة لاتهامة بالزندقة رأى سقاء وعليه عمامة وفى يده كيزان من الخزف الرقيق فقال أهذا ساقى السلطان فقالوا هو ساقى العامة فشرب وأراد أن يعطيه مالا وقال أنت أسير وليس من الفتوة أن نأخذ منك شيئاً .

وهناك نوع طريف من التعاون وهو التعاون الدولى وقد دعا إليه فى القديم همبر المحامى رجاء الأمن والسلام العالمى وكان مدفعياً فى جيش فرنسا فى الحرب العالمية الأولى وحكم عليه بغرامات من أجل أفكاره وساع من أجلها فى أوروبا وقرأ كتب التاريخ فى أكسفورد وفى هارفارد ليقف على أقوال الداعين إلى السلام العالمى واشتغل محامياً فى باريس ودرس المشاكل الاجتماعية والسياسية فى أوروبا وفى أمريكا وهاجر إلى أمريكا فى الحرب العالمية الثانية ودعا الأطباء والمحامين ليدرسوا فكرته .

وبعد البحث قرروا مناصرته وتأييده وكان يرى إذاعتها لتكون رأياً عاماً بين الشعوب والجماعات وكان يخطب فى المدارس والفنادق والكنائس وناصره المحبون للسلام وقال بعضهم إنى أناصرك بلا قيد ولا شرط .

والتعاون المادى هو الظاهر فى دعوة الداعين . . إرادة الرخاء ومحاربة الأفكار الهدامة وقال سولتر الانجليزى إن الاقتصاد هو محور سلام العالم وقال أحد أعضاء مكتب العمل الدولى لأجل السلام يجتمع الساسة ورجال الاقتصاد والأعمال ويكون اجتماعهم لأجل المال والرغيف . وقال إن العالم لا يجتمع الدين فى ولا فى الثقافة ولا فى الحكومات ولكنه يجتمع فى الاقتصاد . وقال ماتزا ينى الإيطالى لا ينفع البشر إلا العقيدة الراسخة . . ومن الطوائف أن وفداً من بنى عامر استأذن النبى فى المرعى حول المدينة . فقال إنها ديار لا تضيق بمن جاءنا وإن جاءنا لا يظلم فى ديارنا وقد ألجأتكم الحاجة فنحن نأذن لكم فى المرعى ونشرككم فى المأوى — وقد أنصف أيوب خان حين قال : « إن الإسلام دين تقدمى . . » .

رسالة الحج

للاستاذ الشيخ على رفاعى

الحمد لله : سهل طريق السعادة للسالكين ، وأنار سبيل الهدى للعالمين ، ودعا أحبابه الأبرار لزيارة بيته المشرف ، ليحسن ضيافتهم ، ويمحو عنهم الذنوب والأوزار ، فلبوا دعوته مسرعين وفارقوا لأجل رضاه الأهل والبنين ، لبسوا من من أجله أكفانا ، وأجابوا دعوته لبيك اللهم مولانا ، مستجيرين به من خزى الدنيا وعذاب النار .

سبحانك ربى ، لسنا ندرك حقيقة عظمتك ، غير أننا نعلم أنك حى قيوم ، لا تأخذك سنة ولا نوم ، لم ينته إليك نظر ، ولم يدركك بصر ، أدركت الأبصار : وأحصيت الأعمار ، وأنت الله الواحد القهار ، تعالى الله فى علاه ، أمرنا بتعظيم شعائره وحرماته : « ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب » لا إله إلا هو حبب إلينا الإيمان ، وغرس فى قلوبنا بغض الكفر والفسوق والعصيان ، وجعل للمسلمين كل عام مؤتمراً جامعاً ، وعين له أشرف مكان ، ليتم بين المؤمنين التآلف والتواد ، فتقوى بينهم المحبة ، وشعور بالكرامة يزداد .

أشهد أنه الإله الواحد ، شرع لنا من الأحكام ما ينفعنا فى ديننا ودنيانا ، ويجعل المسلمين قوة متكاتفين فى الله إخوانا ، متحدين متعاونين لا يخافون إنساناً .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، أفضل من قلد الهدى وأشرف من طاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة ورمى الجمار ، وجدد المناسك ، وجمع شمل دين الله الواحد القهار ، فصلوات ربى وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه البررة الأطهار ، رضى الله عنهم ورضوا عنه ، وأعد لهم مولاهم جنات تجرى من تحتها الأنهار .

أما بعد : فقد قال الله تعالى وهو أصدق القائلين : « ولله على الناس حج البيت لمن استطاع إليه سبيلا ، ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين » .

عباد الله : خلق الله الخلق غنيا عن طاعتهم ، آمنا من معصيتهم لا تنفعه الطاعات ولا تضره المعاصى ، بل : « من عمل صالحاً فلنفسه ، ومن اساء فعليها » . « إن

أحسنتم أحسنتم لأنفسكم ، وإن أسأتم فلها ، . فطاعة العبد لمولاه لنفسه إحسان ، وما جزاء الإحسان إلا الإحسان ، فالطائعون هم الفائزون ، والعصاة هم الخاسرون الذين خسروا الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين :

وها قد نودى فيكم بالحج فأين المشتاق ؟ وفضائل الحج تتلى عليكم فأين أهل التوفيق والانفاق ؟ وهذه زمزم تنادى فأين أهل الظمأ والاحتراق ؟ وفى الخبر : إن الله تعالى يباهى ملائكته بأهل عرفه فهل أحد تاق ؟ وإن ربنا يتجلى لطالب الاعتاق ، هلموا يا أحبابنا إلى بابنا ولو سعياً على الأحداق ، ومن ذاق لذة وصالنا فليهن ما ذاق .

فياسعادة من وفقه مولاه لحج بيت الله ، واجتمع هناك بإخوانه المؤمنين ، الذين أتوا من جميع بقاع الأرض مهللين مكبرين خاشعين لله خاضعين ، قائلين بصوت يرقق القلوب ، ويرضى علام الغيوب : لبيك اللهم لبيك وسعديك ، والخير كله فى يديك ! .

هناك تشعر بلذة كبرى حين ترى الناس قد أفاضوا إلى بيت كسى بالبهاء والاجلال فكبروا عند رؤيته الكبير المتعال . طافوا بالبيت العتيق واستداروا ، وضجت منهم الأصوات بالدعوات كلما داروا ، ولاذوا بمولاهم من النار واستجاروا ، وهو الذى يجير ولا يجار .

هنالك فى الأماكن الطاهرة هنالك فى البقاع المقدسة ، هنالك عند بيت الله قف خاشعا خاضعا ذليلا ، وقل قولة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام « ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم » .

هنالك تشعر بعظمة الاسلام وبعزة الايمان ، وبالتساوى بين المسلمين ، فترى الغنى والفقير ، والأمير والحقير ، الكل سواء لافضل لأحد على أحد ، ولا سلطان لأحد على أحد ، وترى التعاطف والتراحم ، والتعاون والتعارف ، فهذا سورى ، وآخر مصرى ، وثالث هندى ، ورابع جاوى ، وغيره تركى . . فالحج إخوانى مؤتمر عام ، أمر الله رسوله أن يدعوا المسلمين إليه ليتشاوروا ويتعاونوا ، ويشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله على ما رزقهم من الايمان .

ألا يحق للمسلمين أن يفخروا بأن أول من نشر فكرة المؤتمرات نبيهم الكريم بامر من الله ؟ وألا يحق لنا أن نقول لأولئك الذين يذهبون إلى اوروبا كل عام ، وينفقون اموالهم فيما يغضب رب العالمين : هل لكم فى رياضة بدنية ودينية جزاؤها عند ربكم تكفير خطاياكم الكثيرة ، وغفران ذنوبكم المتراكمة !

واعلموا يا عباد الله أن الحج المبرور ، وهو الذى لا رفث فيه ولا فسوق ، ليس له جزاء إلا الجنة ، ففى الحديث عن البشير النذير صلى الله عليه وسلم : « من حج هذا البيت ولم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه » .

فبادروا عباد الله إلى تأدية فريضة الحج ما استطعتم لذلك سبيلا ، ولا تؤخروا مع القدرة فيأخذكم أخذاً وبيلا ، ولا يغرنكم الشيطان بالتأخير ، فإنكم لا تدرون متى يكون المصير . ففى الحديث يقول النبى النذير : من لم تحبسه حاجة ظاهرة ، أو سلطان جائر ، فلم يحج ، فليمت إن شاء يهوديا ، وإن شاء نصرانيا » .

فيا سعادة من لبى نداء ربه وسار إلى البلاد الحجازية ، وهناك طاف بالكعبة المشرفة البهية ، ولما قضى فرض الطواف بالتمام قصد فصلى خلف المقام ، ثم عاد إلى الحجر للاستلام ، اقتداء بما فعله المصطفى وصحبه الأخيار . فسابق أخى إلى الخيرات ، وبعد الحج زر قبر محمد نبينا وشفيعنا يوم الزحام ، وقف هناك بأدب وخشوع واحتشام ، وقل بصوت حزين : قم يا محمد وانظر ما فعلت أمة الإسلام . هناك قف فى كمال وخشوع وقل يا محمد وانظر ما فعلت أمة الإسلام . هناك قف فى كمال وخشوع وقل يا محمد كثر فى أمتك الملق والنفاق ، وقل الحياء ، وانحطت الأخلاق . فالزنا يفعلون ، والخمر يشربون ، والحرام يأكلون ، وقد أباحوا لنسائهم الأحمر والأصفر والخروج متبرجات ، وزين الشيطان لشباب أمتك معاكسة النساء فى الطرقات ، وما هكذا كان حال المسلمين ! سألتك بالله يا من ستحج هذا العام ، إن زرت قبر حبيبى وشفيعنا محمد عليه الصلاة والسلام فاقرئه منا السلام ، واضرع هناك إلى الله وادعوه أن يضم شمل المسلمين ، وأن يقوى شوكة الدين ، ويرزقنا شفاعة المصطفى ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

الحديث .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من حج هذا البيت ولم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيومَ وَلَدَتْهُ أمه » .

أخبار صوفية

المجلس الأعلى الصوفى

عقد المجلس الصوفى الأعلى بكامل هيئته . ثلاث جلسات متتاليات مساء الخميس ٢٠ أبريل ١٩٦١ ومساء السبت ٢٩ أبريل ١٩٦١ ومساء الأربعاء ٣ مايو ١٩٦١ .

وبمناسبة انعقاد المجلس لأول مرة فى دورته الجديدة بعد إجراء الانتخابات العامة فقد هنأ سماحة السيد شيخ المشايخ ورئيس المجلس السادة الأعضاء بفوزهم بثقة إخوانهم وطلب لهم التوفيق والسداد فى مهمتهم .

إصلاحات صوفية

نظر المجلس المذكرة المقدمة من سكرتارية المشيخة العامة بخصوص بعض المخالفات السائدة فى المحيط الصوفى وضرورة اتخاذ ما يجب من إجراءات لتدعيم النظم والتعاليم الصوفية وتؤكد العمل بالنصوص الواردة باللائحة الصوفية وموادها نصا وروحا .

وقد تناقش المجلس فى النقاط الواردة بهذه المذكرة وكذلك استعرض الأمور الصوفية من جميع النواحى والملابسات المحيطة بها .

وبعد المداولة أصدر المجلس بعض القرارات بالنسبة لبعض نقاط المذكرة وأرجأ نظر باقى النقاط إلى جلسة مقبلة تحدد بعد عودة سماحة رئيس المجلس من الأراضى الحجازية بعد أداء فريضة الحج . وستذاع القرارات بعد استكمالها فى نشرة دورية للسادة المشايخ ووكلاء المشيخة العامة وستنشر فى عدد المجلة المقبل بمشيئة الله وتوفيقه .

إطلاق سراح ورفع قرار طرد

نظر المجلس الطلب المقدم من السيد محمد محمد عاشور شيخ السادة البرهامية بخصوص إعادة النظر فى قرار المجلس السابق صدوره بجلسة ١٩٥٠/٧/٢٧ بطرد أمين مهدى خليفة خلفاء السادة البرهامية بناحية زنيق مركز الجيزة من عداد الطرق الصوفية .

وبعد مراجعة أوراق القضية وبحث التحقيقات السابقة والحالية ومحضر الصلح المحدد بين رجال طريقة السادة البرهامية وبالنسبة لرغبات الأهالى ولجنة القرية وأعضاء الاتحاد القوى ، وبعد ان ثبت للمجلس ان الأمور التى نسبت للشخص المبعد من الطرق الصوفية تنقصها ادلة الاثبات وان اساس الموضوع خصومات شخصية بين مقدمى الشكاوى والمشكو فيه .

وبعد المداولة . قرر المجلس بإجماع الآراء قبول الطلب المقدم من السيد شيخ الطريقة البرهامية فى الموضوع وإلغاء قرار الطرد الصادر بجلسة ١٩٥٠/٧/٢٧ واعتباره كأن لم يكن وإعادة اعتبار امين مهدى خليفة خلفاء السادة البرهامية إليه والسماح له بمزاولة نشاطه الصوفى كالمعتاد .

النزاع على العقب فى المواكب الصوفية

وافق المجلس على الاتفاق الذى تم بين كل من طريقتى السادة الرفاعية والسادة الشناوية الأحمدية بشأن تسوية النزاع على العقب فى المواكب الصوفية بناحية برج النور الحمصى مركز أجا .

كما صادق المجلس على محضر الصلح والاتفاق المحرر بين طرفى النزاع والموقع من كل من الشيخ محمد ابراهيم منصور ممثلا للسادة الرفاعية بالناحية والشيخ فهمى ابو المجد ممثلا للسادة الشناوية الأحمديه بالناحية ومعتمد من السيد وكيل المشيخة بمركز أجا .

وقد نص هذا الاتفاق على أن تعقب السادة الشناوية المواكب الرسمية من أول ربيع أول من كل عام حتى يوم ١٢ ربيع اول وتعقب السادة الرفاعية اعتبارا من ١٣ ربيع أول إلى آخر ربيع أول من كل عام وإذا ارادت إحدى الطريقتين السير فى المواكب فى الأيام المخصصة لعقب الأخرى فإنها تسير فى القدم .

وقد اثنى المجلس على الجهود التى بذلها السيد كامل احمد على عمر وكيل المشيخة بمركز أجا فى سبيل اتمام هذ الاتفاق وطلب له دوام التوفيق والسداد .

قرر المجلس تعيين كل من .

١ — الشيخ على محمد لاشين المقيم بناحية الملاحة تبع ابو زاهر خادما لضريح الشيخ محمد لاشين .

٢ — كل من الشيخ منصور عبد الجواد تريك والشيخ احمد محمود عويس قطيفه المقيمان بناحية بنى عثمان مركز سنورس خادمين لضريح ولى الله الشيخ عويس الترمساوى الكائن بالناحية كل بحق النصف ،

اعتمدت المشيخة العامة التعيينات الآتية :

١ — الشيخ عبد العزيز عبد العال نائبا للطريقة السمانيه الخلوتية عن القاهرة .

٢ — الشيخ سليمان بدر الدين نائبا للطريقة الأحمدية المرازقة بقسم الساحل .

٣ — الشيخ أبو بكر أحمد حسن أبو العينين نائبا للطريقة الأحمدية المرازقة قسم شبرا

٤ — الشيخ عبد ربه عبدالعزيز جاد نائبا للطريقة الأحمدية المرازقة بنقطة المناشى .

٥ — الشيخ محمد السيد أحمد خليفه بكتوت نائبا للطريقة الأحمدية المرازقة بنقطة الشنوت مركز بنها .

٦ — الشيخ عبد الشكور محمد جبريل خليفة خلفاء السادة الأحمدية المنايفة عن مركز الزقازيق .

٧ — الشيخ أحمد عطية بركات نائبا للطريقة البرهامية عن مركز وبندر المحلة الكبرى

٨ — الشيخ مصطفى يوسف الشناوى نائبا للطريقة الأحمدية الشناوية عن مركز وبندر قلين .

٩ — الشيخ عبدالرحيم أحمد السيد نائبا للطريقة السمانية الخلوتية قسم روض الفرج وشبرا

١٠ — الشيخ سيد بدوى ابراهيم نائبا للطريقة الأحمدية الشعبية بمسطرد

موالد

مولد سيدى اسماعيل الامبابى

احتفل بمولد سيدى اسماعيل الامبابى ويسير موكبه الختامى يوم الخميس الموافق ١١ مايو سنة ١٩٦١ واشترك فى احياء هذا المولد الكبير طريقتى السادة الكناسية الأحمدية والسادة الامبابية الأحمدية برياسة كل من السيد سلامه محمد نويتو ، والسيد عبد السلام ابراهيم سلمان شيخى الطريقتين .

مولد سيدى أبى العباس المرسى

تقرر الاحتفال بمولد سيدى أبى العباس المرسى بالأسكندرية لمدة سبعة أيام اعتباراً من ٩ يوليو سنة ١٩٦١ على ان تكون الليلة الختامية يوم ١٥ يوليو ١٩٦١

إلى السادة المشتركين

لقد تزاملنا وتعاونا ثلاثة أعوام على إصدار « مجلة الإسلام والتصوف » منبراً حراً للدعوة الربانية ، ونبراساً قوياً نستضىء به فى هذا العالم المضطرب المصطخب بالماديات والإلحادات .

فمنها كتبنا عن الإسلام : كرسالة عالمية منقذة ، وهدى ورحمة للعالمين .

ومنها أعلناها صريحة : أن التصوف هو جوهر الإسلام وروحه وقوته الإيجابية الفاصلة فى أحداث التاريخ .

ومنها حاربنا المنحرفين والمارقين وأعداء العروبة والوحدة وخصوم الإيمان والإسلام .

ومنها بعلنها قومية عربية متحررة مؤمنة ، تدعو الناس إلى الإخاء والسلام والتعاون الإنسانى .

ومنها نحمل إلى العالمين الإسلامى والعربى : أصداء نفوسنا ، وأنوار آمالنا وكلمات ربنا ، وآداب نبينا ، وسيرة السلف الصالح من علمائنا وأوليائنا ومجاهدينا .

ومنها ستنبثق الوثبة الإسلامية الكبرى ، التى تعيد لنا رسالتنا ، ومكانتنا العالية .

فبادروا إلى تجديد الاشتراك وأسهموا فى هذا الجهاد الذى يحبه الله ورضى عنه ، حتى تتابع المجلة سيرها المبارك ، ورسالتها الربانية المهذبة .

وترسل الاشتراكات : إذن بوستة ، أو حوالة بريد إلى إدارة المجلة ، وقيمة الأشتراك السنوى ستون قرشاً .

اقرأ فى هذا العدد للأساتذة

الدكتور محمد خلف الله أحمد
الدكتور مهدى علام
الدكتور محمد وصفى
الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة
الأستاذ ابراهيم الكواز
الأستاذ محمد عيد الشافعى
الأستاذ حسنى طه شكيبان
الأستاذ محمود شلبى
الأستاذ حامد محمود الزفرى

البكباشى حسين محمود
الأستاذ فوزى عرفة
الأستاذ عبد الحفيظ القرنى
الأستاذ محمد على حسين
الأستاذ عبدالموجود عبدالحافظ
الأستاذ عبد اللطيف محمد القيسى
الأستاذ مرسى على نوفل
الأستاذ على رفاعى
سماحة السيد محمد محمود علوان

الأستاذ طه عبد الباقى سرور

مع الأبواب الثابتة : منهج التصوف
أخبار صـــوفية : قصص صوفى

الثمن ٥ قروش

القاهرة
مطابع دار الكتاب العربى بمصر
محمد حلمى المنياوى